الفهرس

صحيفة

ثمن العدد ٢ قرشان صاغاً

الثقافة

AL-THAQAFA

صاحب الامتياز
الدكتور أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف بك

الإدارة
٩ شارع الكرداسي ، بعابدين ، القاهرة . تليفون ٤٢٩٩٢ — ٥٦٧٦٩

العدد ٥٨٠ — الاثنين ١٩ من ربيع الثاني سنة ١٣٦٩ — ٦ من فبراير سنة ١٩٥٠ — السنة الثانية عشرة

من وحي الحوادث :

عودة الشباب

للأستاذ فؤاد السيد خليل

كانت تبتسم وتضحك وتغني وترقص ، ثم تعانقه وتعانقه . وكان هو مرحاً شديد المرح سعيداً [illegible] يعجب أشد العجب من نفسه ومنها . أين هو هذا الجمال الذي آمن به وسباها ، وأين له هذه القوة والثروة ؟ ! ومن ؟ كيف عادت تظهر له الآن كل هذا الحب وهذا الإخلاص بعد طول الهجر وطول العذاب ؟ لقد بدأ حبهما أيام شبابه البعيد ، بل أيام طفولته الجميلة ، الجميلة برغم كل ما بها من حوادث وأحداث منها المحزن ومنها المكئيب ومنها الدامي أيضاً . على أن تلك المصائب لم تكن تصب عليه إلا في غيابها ، ولكنه لم يكن يهتم إلا بها ولا يأبه إلا لها . وكانت جميلة جداً كما هي الآن مع فارق واحد بسيط ؟ كان جمالها الأول في نظره جمالاً خرافياً ليس له حدود ، ولكن فيه روعة وفيه سحر وفيه أمل ، بل آمال لا حصر لها ولا حد لها ؛ أما جمالها الحالي فهو جمال إنساني محدود ، ولكن فيه الروعة وفيه السحر وفيه الأمل أيضاً ، أمل محدود ولكنه عظيم وجميل .

كلا . كلا . إنه لا يريد أن يفكر الآن في آماله وفيما قد يعترضها من صعوبات . يكفيه الآن قربها . يكفيه الآن حبها [illegible] يأس منه ، بل كاد يسخر منه بعد [illegible] بآلامه وبنفسه وبقلبه . ولقد كاد يظن أنها هجرته إلى الأبد ، وكاد ييأس من الحياة . وأوشك أن يقتل حبيبه ويقتل نفسه ! أما الآن فوا فرحتاه !.

وجعل يحدثها قائلاً : هيا ! تعالي إلى جانبي أيتها الحبيبة . أريد أن أشعر بوجودك معي وقربك مني . أريد أن أضع يدي عليك . أريد أن أقبض عليك بيدي . أتبتعدين ؟ نعم . تذكرت . أنت لا تطيقين القبض ولا الاعتقال . إذاً ماذا أصنع ؟ أريد أن أحس بك بكل جوارحي .. تكلمي .. تحدثي إليّ .. غني .. ارقصي .. ودعيني أتحدث إليك أنا أيضاً وأغني وأرقص إذا استطعت .

أتذكرين أول عهدنا يوم كنت أنا طفلاً ؟ لقد كنت فتاة فتية كما أنت الآن ؛ إن الزمن لا يغيرك يا أعز المخلوقات . لقد كنت أهتف — كما أهتف الآن — باسمك وأشيد بمحاسنك ولا أمل ؛ وكنت تبتسمين لي أحياناً وتعبسين

أعواماً. لم كنت تغيبين عنا أحياناً؟ تذكرت. لقد كنت تطلبين منا أن نكون في حبنا رجالاً حتى لا يتسع بنا الضلال. أجل لقد كنا كثيرين، وكنا نحبك كثيراً وإن كنا لا ندري ماذا نصنع لكي ترضي عنا. ولكننا كنا نخلص في حبك إلى درجة التقديس! لم يكن أحدنا يغار من محبيك الآخرين، بل كان يفرح بهم ويتقرب إليهم.

أجل يا حبيبتي لم تكن الغيرة عليك لأننا لم نكن نطمع في أكثر من حبك والإخلاص لك، وكنا نعلم أن أحداً لا ينال أكثر من حبك، وكنا نراك نعمة أنعم بها الله على عباده فيجب أن يستمتعوا بها كلهم في حد سواء. وكنا نحزن أشد الحزن، ونجزع أعظم الجزع، ونبكي أحر البكاء، إذا خشينا أن يعتدي عليك معتدٍ أثيم. وكنا ندافع عنك بألسنتنا الضعيفة وأيدينا الصغيرة وقلوبنا الكبيرة!

وكان أهلك — ولا زالوا — كراماً، كانوا يعطفون علينا ويرحبون بنا بل يشجعوننا على حبك! كانوا يعلمون أنك طاهرة ومتعففين بحبك الـ[illegible] لو أحبك الناس كلهم، بل ما أحراهم [illegible] يرون الناس كلهم يحبونك ويتمتعون بنور جمالك [illegible] كراماً؟! والكريم يفرح بأن يعطي ويعطي من كل ما يملك، فكيف وهو كان لا يعطي إلا العطف والحب وهما يسعدان الناس ولا يكلفانه شيئاً، ولا يكلفانه شيئاً! يالكرام! إن الذي يبذل العطف والحب إنما يبذل خير ما يملك. إن بعض الناس لا يكتفون بأن يستأثروا بالعطف والحب من الناس، بل لا يطيقون أن يروا غيرهم يوزع عطفه ومحبته على غيرهم، إنهم يريدون أن يستأثروا بكل خير في هذا العالم. فكان أهلك حينئذ — وما أكرمهم — يتحملون الأذى ويتقبلون التضحية ويأبون أن ينفرد بعض الناس بالاستمتاع بعطفهم ويحرم منه الآخرون، وكانوا يتغنون مع أبي العلاء المعري طيب الله ثراه قائلين:

فلا نزلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

وظللنا نحب ونحن حافظون لعهدك، ساهرون لودك، إلا نفراً ضئيلاً منا أعمتهم الأنانية الحمقاء، فأرادوا أن يستخلصوك لأنفسهم، فكانوا يتحاولون مع المحتال على حبسك عنا فيحرمونك منهم ومنا.

لم لهم؟ ماذا استفادوا؟ إن كل ما استفادوه لا يساوي لحظة واحدة من قربك، ولا لمحة واحدة من نور جمالك، جمالك الذي تستطيع أن يعم الناس كلهم، وأن يسعد الناس كلهم!

ولكننا لم نكن نسكت على الضيم يا حبيبتي، كنا نظل نذكرك ونذكرك، وكانت ذكراك تنغص عليهم عيشهم كما نغصوا علينا عيشتنا، وكنا نظل صابرين على ذكراك والنداء باسمك والعمل لأجلك حتى تعودي إلينا فنفرح ويحزنون، ونضحك ويبكون، وكم كانوا بنا وبك يشمتون!

يا حبيبتي، إنك عدت في هذه المرة أشد فتنة وأكثر جمالاً [illegible] هذه المرة لشديد، وإن سرورنا [illegible] هذه المرة أطول من كل مرة [illegible] لا تعودي بل خشينا أن يكون حبنا لك قد فتر، وحبنا لك قد ضعف، بل أصبح كل منا يخشى أن يكون زميله في حبك قد أصبح من عذالك! واحسرتاه من تلك الأيام المظلمة المرعبة الكئيبة.

يا حبيبتي، إني أشعر الآن أني عدت لعهد شبابي، بل عهد طفولتي، ولن كان يستطيع أن يصنع هذه المعجزة إلا أنت؟ فأهلاً ومرحباً بك، وشكراً لله ثم لك.

اتكئي بجانبي يا حبيبتي، لا تبتعدي عني، لا تخافي مني فلن أمد يدي عليك، بل لن أوذي حسك بكلمة نابية، ولا عمرك بإشارة جارحة. يكفيني أن أمتع ناظري بنور جمالك الباهر، وأشنف أذني بسماع حديثك الساحر، بل إن قربك مني يخلق الدنيا من حولي خلقاً جديداً! إن الشمس اليوم أجمل منها في كل يوم، والأرض أراها قد لبست زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج، والجو!

الجو فيه أنغام سحرية لا عهد لي بها، بل كان لي بها عهد ولكنها انقطعت حتى فترة طويلة من الزمان حتى أنسيتها. في تلك الفترة الكئيبة كان في لساني عِيّ، وفي أذني وقر، وفي بصري غشاوة! لم أكن أتكلم إلا عِيًّا، ولم أكن أسمع إلا زوراً، ولم أكن أرى إلا نكراً. يا لله! إن السماء والأرض لم تتغيرا كثيراً منذ اليوم ولكني أنا الذي تغيرت! كنت يائساً فأصبحت آملاً، وكنت بائساً فأصبحت سعيداً، وكنت كافراً فأصبحت مؤمناً، وكنت عبداً فأصبحت حراً! أصبحت لي كرامة! رفعت رأسي.. صرت أعلم أن لي حقوقاً كما لي واجبات. في أيام هجرك لم أكن أعلم إلا أن علي واجبات، واجبات فقط بغير حقوق! كنت حانقاً عليك حنقت على كل شيء، حتى على الحياة الكريمة! والآن أمنت عليك فأمنت على كل شيء ورأيت كل شيء جميلاً!

اقترب مني يا حبيبي، دعني أشعر بالسعادة والحياة. إن أنفاسك العطرة تنعشني، وتلك السحرية تبعث في جسدي القوة والنشوة! إنك [illegible] الأمام، إلى طريق السعادة، أما في [illegible] وأتعثر، بل وأشقاه، كانت [illegible] الوراء! يا للعار! العالم كله يهرول إلى الأمام، إلى العز والمجد والكرامة، وأنا وحدي كنت أسير القهقرى!

صديقي ألا تمكنني بعد اليوم أعدائي وأعداءك من أن يستولوا عليك. أعدائي! إنهم ليسوا أعدائي، إنهم إخوتي، ولكنهم أنانيون جداً، يريدون أن يحجبوا أشعة الشمس فلا يمتع بها غيرهم! يريدون أن يحجبوا نور القمر فلا يستمتع به سواهم! يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم! أما إن أراد أحد مشاركتهم أو جرؤ على اتهامهم بالظلم والقسوة فكانوا يمزقونه! يا للهول! إنهم كانوا يقتلون إخوتهم وأبناءهم! حتى النساء والأطفال لم يسلموا من أذاهم! أخذوا منهم عائلهم، وسدوا عليهم موارد رزقهم، وحرموا التصدق عليهم والإحسان إليهم!! والذين فعلوا ذلك كانت لهم نساء يعشقونهن وأطفال يدللونهم، فلا أدري كيف نسوا نساءهم وأطفالاً آخرين كانوا في أشد الحاجة إلى كلمة طيبة، بل إلى لقمة الخبز! كيف طاوعت هؤلاء القوم قلوبهم على ذلك، بل كيف كانوا يهنأون بالعيش أو بالنوم!

لا تقلقي يا حبيبتي ولا تبكي، فهم يقولون: إن أولئك الظالمين الذين انتقدتهم كانوا من أصدقائك أيضاً. فقولي وما ذنب النساء والأطفال؟ قولي لهم يا حبيبتي أنك لم تكوني موجودة لتنصحيهم. ها أنت ذي تعودين لتحتضني كل الناس، تحتضني حتى أعداءك السابقين، فلا يؤاخذهم أحد بأكثر من كلمة العتاب، وتأخذين بيد كل إنسان، تأخذين بيد العامل الفقير، والبائس المريض، والطفل الشريد، والأسرة التي أضنى عليها الدهر! انظري إليهم جميعاً، إنهم ينظرون إليك فرحين مستبشرين. لقد نسوا ما هم فيه، نسوا آلامهم وأحزانهم، وأصبحوا يحلمون في المستقبل السعيد. إن الله [illegible] كنا قبل عودتك لا نعيش إلا بالماضي [illegible] أن نحيا في الحاضر! كنا نهرب [illegible] فأصبحنا نعبر إلى المستقبل بقوة [illegible] الثقة والاطمئنان. لقد نلنا بفضلك خير ما في الماضي والحاضر والمستقبل معاً! يا لها من آية! لن غيرك أنت يستطيع هذا يا خير هبة لله في الوجود!

يا حبيبتي! ما أجملك وما ألطفك وما أحلاك! وما أحلى اسمك بين الأسماء كلها! يا أجمل من الحياة وألذ من النعيم! الحرية! ما أبدع الجرس، وما ألطف الجرس، وما أحلى المعنى! الحرية! إن اسمك لكما قال الشاعر [illegible] حق بك!

كنا النساء اسمها محبتنا وجنته

حتى كأن اسمها البشرى أو العيد!

بل أنت خير من ذلك يا حبيبتي! إن البشرى والعيد لا يعيشان إلا بك، ولا يكونان إلا حيث تكونين.

ثروت السيد خليل

شبكة الصياد

للدكتور زكي نجيب محمود

صحبتُ صديقتي الشابة في نزهتي ، فتناولنا معاً ما كنا ، وأخذت أحدثها على مهل ، وكأنما بدا في وجهي ساعتئذ شرود الفكر ، فسألتني :

قالت : ماذا دهاك ؟ .

قلت : إنه اليوم الأول من شهر مايو ، إنه يوم مولدي .

قالت : إذاً فهو يوم تفرح فيه ، فمالي أراك قد بترت حبل الحديث وأخذك الوجوم ؟ .

قلت : لا ، ليس ما بي من وجوم ، إنما هي حقيقة طبعها الله على وجهي ، فأبدو واجماً ولست بواجم .

قالت : لكنك شطحت بفكرك في السحاب [illegible]

قلت : بل سرحتُ به دهراً في هذه الأرض ، كررته راجعاً عشرين عاماً ، إلى [illegible] دراستي العالية ، واستعرضت في [illegible] ما كان ، وكنت قد بدأت أحسب [illegible]

قالت : أعدْ لي ما دار في رأسك ، لأجعل معك حسابك لنفسك .

قلت : كان البحر مضطرباً مائجاً ، وكانت السماء مكفهرة ربداء ، حين خرجت بشبكتي أقصد الصيد ، وكان معي فريق من الزملاء ، حملوا شباكهم على أكتافهم ، إذ كانوا كذلك إلى الصيد يقصدون .

خرج الصيادون جماعة واحدة ، يحملون شباكهم ، وكل قد حبك الشبكة حبكاً يتفق مع وجهة نظره فيما يراه أنفع في الحياة وأجدى ، وكل لا يكاد يدري شيئاً عن شبكة زميله ؛ فكان الصيادون في جملتهم يعتقدون أن الشباك قد تفاوتت نسجاً وحبكاً ، فإن اختلفت عيونها سعة وضيقاً ، وإن تباينت خيوطها شدة وضعفاً ، فاختلافها — في رأيهم — يسير على كل حال ، لن يؤدي إلى تفاوت كبير فيما يصيدون ، فلئن لم يكن بينهم يومئذ حسد ولا حقد ، ولم تجرِ في نفوسهم يومئذ شحناء أو بغضاء ؛ حتى لقد ذهب بهم الوهم الجميل إلى الإيمان بأنهم سيظلون أحباباً أصحاباً ، فقد أخرجتهم إلى الصيد قرية واحدة ، وأسكنتهم تلك القرية منازل متجاورة متقاربة .

أقلعت الزوارق بجماعة الصيادين من مكان واحد عند الشاطئ ، ثم أخذ الموج المضطرب المائج يباعد بينها ، فهذا زورق يمضي قدماً في خط مستقيم ؛ وذلك زورق ينحرف ذات اليسار ، وثالث يتجه إلى اليمين ، ورابع لم يكد يبرح الشاطئ حتى ارتطم بالصخر ووقف حيث كان .

وها أنا ذا يا صديقتي أصور لنفسي جماعتنا وقد عادت إلى الشاطئ [illegible] رحلة الصيد .

[illegible] ؟ .

[illegible] الزوارق بين صيد وصيد .

[illegible] أخرج من شبكته سمكة واحدة كبيرة ضخمة جبارة ، لم يكد يراها الزملاء حتى خجلوا من صيدهم الهزيل .

وسألناه جميعاً بصوت المشدوه المبهوت : كيف كان ذلك ؟ فقال : حبكتُ شبكتي منذ البداية على هذا الأساس ، جعلت عيونها قليلة لكنها واسعة ، وكنت أعلم منذ البداية أني مخاطر مقامر ، فإما عدتُ بغير صيد على الإطلاق ، أو عدت بمثل هذا الصيد السمين ؛ ذلك أن معظم السمك في البحر — كما تعلمون — متوسط الأحجام أو صغيرها ، وشبكتي هذه عيونها أوسع من أن تمسك بمتوسط أو صغير .

فقال له زميل وهو يبلع ريقه الذي جف في حلقه غيرة وحيرة : لقد ركنت إلى الحظ فواتاك ! فأجابه الصياد الناجح ضاحكاً مزهواً بنجاحه : ليس الأمر كله حظاً مواتياً . يا صاحبي لا يحملك الفشل على غمط الناس حقوقهم ؛ إني حين حبكتُ شبكتي على نحو ما حبكتها ، كنت أصدر عن

روية وتفكير وإرادة وتدبير؟ ثم جاء أوان الصيد فتخيرت للوضع الذي ألقي فيه شبكتي، ولبس التخير الصحيح من قبيل الحظ المواتي والمصادفة العمياء... ثم قد كان من الجائز أن أضيق عيون الشبكة على نحو ما فعلت، وأن ألقي بها حيث ألقيت، فلا تصادفني السمكة الكبيرة التي رجوتها؟ لكن الحياة السليمة الصحيحة القوية هي في التعرض لمثل هذا الخطر، فهو تعرض للخطر قائم على حسن الروية لا على الطيش والجنون؛ ثم هو تعرض للخطر يحدوه الأمل.

وكان طبيعياً أن ألتفت أنظارنا إلى شبكة الزميل الغريض، فإذا هي مليئة بالسمك الصغير؛ إن صيده كثير غزير، ومع ذلك فقد أفرغ شبكته خجلا، ونظرنا إليه في ابتسامة الساخرين!! فالعجب لكثرة تبعث على السخرية وتدعو إلى الخجل!! لقد رسم هذا الصياد خطة صيده على أساس الحذر الشديد والحرص الشديد، فأعد لنفسه شبكة ضيقة العيون لا تفلت منها سمكة شاردة أو واردة من صغار السمك؛ لكن كبار الأسماك وأوساطها ليست من نصيبه، [illegible] السمك الصغير موجود في كل موضع من البحر، [illegible] الضيقة العيون [illegible] هذا الزميل الصياد، حين بدأ [illegible] الرحلة صفر اليدين؟ إنه أراد [illegible] له أن يستغني عن أوساط السمك وكبارها...

لا، فإني أذكر الآن صديقاً ثالثاً، كان أكثر من ذلك عناية وأشد حرصاً، فقد استوقف صيده أنظارنا بأنه خليط من متوسط وصغير، وسأله سائل كيف كان ذلك؟ فأجابه بأنه قد تحوط للأمر فحمل معه شبكتين، ووضع في زورقه شبكاً إحداهما بيمناه، والأخرى بيسراه؛ وعاد بما عاد به من صيد يستوقف الأنظار، لكنه مع ذلك يدعو إلى الإشفاق على صاحبه؛ لأن المسكين قد أجهد نفسه إجهاداً أضناه وأتعبه، حتى لتكاد تنظر إلى صيده النظرة التي تحس معها أنه قد صاد الصيد لسواه...

قال صديقي: إنك لم تذكر شيئاً عن صيدك أنت، فإلى الآن ولست زملائك؟ إن اليوم يوم ميلادك، وقد حلا لك أن تنقطع عن تفكيرك إلى ماضيك تستعيده، لتحسب لنفسك ميزان الحساب.

قلت: كانت عيون شبكتي أقرب إلى الضيق منها إلى التوسط أو السعة فأمسكت بسمكات قلائل، كلها أقرب إلى الصغر منها إلى التوسط فضلا عن الكبر والضخامة.

قال: أفهم أن تجيء أحجام السمك في صيدك أقرب إلى الضآلة منها إلى التوسط أو الكبر، لكني لا أفهم أن تكون سمكاتك قلائل، فما شأن الشبكة وعيونها بكثرة السمك أو قلته؟

قلت: ها هنا يا صديقي يقع الخطأ الأكبر في رحلة صيدي، فقد أخطأت الحساب وألقيت الشبكة في غير موضع الغزارة والخصب، فجعلت أطرحها وأجذبها، ثم أطرحها وأجذبها، مرة بعد مرة، ولا أظفر في كل مرة بأكثر من سمكة أو سمكتين.

قال: ولماذا لم تتحول عن ذلك الوضع إلى سواه؟

قلت: إنه يا صديقي أمر عجيب، أن يدرك الإنسان مدى إخفاقه في موضعه، ثم يستحيل عليه أن يتحول عنه إلى غيره، [illegible] أصابه الشلل فلا يقوى على الحركة! وأعجب من ذلك أني إلى اليوم لا أقصد إلا إلى ذلك المورد من البحر [illegible] أطرح الشبكة نفسها في المكان نفسه [illegible] من الصيد في كل مرة!

[illegible] كنت ألقي التبعة على الحظ الأنكد، [illegible] هذا الحظ رجل من لحم ودم يضطرب معنا في سبيل الحياة، فيحض هذا ويعرقل الطريق لذاك؟ فلما كبرت وازددت خبرة ودقة، أدركت أن تبعة الصيد الهزيل واقعة لا محالة على الصياد، فالشبكة من نسج يديه، وموضع الصيد من اختياره؟ إن هذا «الحظ» المسكين الذي نلطخه بأوحالنا، ونفرغ على رأسه قمامتنا، مظلوم مغبون، وإنه بريء إلا بمقدار ضئيل جداً مما يصيبنا. ليتني أعرف أين يسكن هذا الذي ظلمه الناس وقسوا عليه، لأبعث إليه بقطعة من الحلوى اليوم — يوم ميلادي — تكفيراً عما أثمته في حقه من خطايا مر في سالف الأعوام.

ثم التفت لصديقي وسألته: ترى أين يكون موضعك أنت من هذه الأنواع المختلفة من الشباك والصيد؟

فقال ضاحكاً: تلك الشباك شبكة أخرى وصيد آخر.

زكي نجيب محمود

نصر بن سيار

الأستاذ علي أدهم

حينما عصفت الأيام بالأمويين ، وتألب عليهم الخصوم ، وماجت بهم الفتن ، واشتعلت نيران الثورة في كل ناحية من نواحي ملكهم العريض ، وتنكر لهم الصديق ، ولم يرع عهدهم الولي ، وتهاوت معاقلهم المنيعة ، وتوالت الهزائم على جيوشهم ، كان يقف إلى جانبهم ويثبت في صفوفهم رجال كالطود الراسخ ، ومن هؤلاء الرجال نصر بن سيار حاكم الإقليم الذي هبت عليهم من نواحيه العاصفة العاتية ، وأصابتهم من جوانبه الضربة القاضية ، وهو خراسان .

ولد نصر في سنة ٤٦ هجرية في عهد خلافة معاوية ، وكان أبوه سيار من رجال مصعب بن الزبير ، وقد اتهم أبوه بسرقة عيبة ، وقطعت يده [illegible] وظل خصوم نصر [illegible] بهذه التهمة [illegible] وربما كان من البواعث التي حفزت نصراً على حب الخطر والرغبة في ابتناء المجد ونيل المكانة السامية حرصه على أن يمحو عن أسرته هذا العار ، ويستنقذها من سوء الحالة والهوان . ولا تزودنا المراجع التي يمكن الاعتماد عليها بمعلومات عن نشأة نصر ، ولكن علاقة أبيه بمصعب بن الزبير الذي كان حاكماً للعراق من قبل أخيه عبد الله تميل بنا إلى ترجيح أن نصراً كان عراقي النشأة ، وترجع سلسلة نسبه إلى بطن من بطون كنانة ، فهو مضري صليب . وقد تلقى نصر الدراسة التي كان يتلقاها أمثاله في ذلك العصر ، وهي دراسة الفقه الإسلامي والأدب ؛ وكان لنصر ملكات أدبية ممتازة ، ولكنه لم يكن بطبعه ميالاً إلى حياة الفكر والتأمل أو الانقطاع للشعر والكتابة . كان رجلاً طموحاً مع الحيوية محباً للسيطرة والنفوذ ؛ وقد وجد منفذاً لنشاطه في الانضمام إلى جيش القائد الكبير والقائد الداهية قتيبة بن مسلم الباهلي الذي اختاره الحجاج لولاية خراسان ، وهو الذي وثب من خراسان لغزو بلاد ما وراء النهر ، وأوغل في بلاد الترك حتى وصل إلى حدود الصين . وفي سنة ١٠٦ هجرية اشترك نصر مع مسلم بن سعيد الكلابي أمير خراسان في غزو فرغانة ، ولما انفصلت قبيلتا ربيعة والأزد عن معسكر مسلم اعتمد على نصر في محاربتهما وإرغامهما على طاعته والانضواء تحت رايته ، وقام نصر بأعباء هذه المهمة بما عرف عنه من حماسة وكفاية وشدة وبطش . ثم استعمل خالد القسري حاكم العراق أخاه أسد بن عبد الله على خراسان ، وأبلى نصر بلاء حسناً في [illegible] قتال الترك مع أسد القسري ، ولكن أسداً [illegible] العصبية اليمنية متحاملاً على المضرية ، فلم تشفع [illegible] الإمارة وحسن بلائه ، وأساء معاملته ، [illegible] السياط ، وحلقهم وسيّرهم إلى أخيه خالد ، وكتب إليه أنهم أرادوا الوثوب به ؛ وقد أثار ذلك خاطر الشاعر الفحل الفرزدق ، وكان من المعجبين بنصر ، الفاخرين ببطولته ، فقال منددا بخالد القسري :

أخالد لولا الله لم تعط طاعة
ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا
إذاً للقيتم عند شد وثاقه
بني الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجرا

ولم يرض هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي حينذاك عن سياسة أسد في خراسان ، وكتب إلى أخيه خالد بعزله فرجع أسد إلى العراق في سنة ١٠٩ ، واستعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي والياً على خراسان ؛ وقد رد أشرس لنصر اعتباره ، واختاره والياً على بلخ ، وظل نصر والياً عليها حتى عزله عن ولايتها الجنيد حينما ولي خراسان ، واستعان به في محاربة الترك في ما وراء النهر ، وحضر نصر

مع الجنيد وقعة الشعب التي كاد الترك أن يهزموا فيها جيش المسلمين الفاتحين ، وأبلى في هذه الوقعة بلاء حسناً ، وذكرها في شعره فقال :

إني نشأت وحسادي ذوو عدد
يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن تحسدوني على مثل البلاء لكم
يوماً فمثل بلائي جرّ لي الحسدا
يأبى الإله الذي أعلى بقدرته
كعبي عليكم وأعطى فوقكم عددا
هلا شهدتم دفاعي عن جنيدكم
وقع القنا وشهاب الحرب قد وقدا

ومدحه أحد الشعراء المعاصرين له بهذه الأبيات ، وقد أشار فيها إلى مواقفه في وقعة الشعب فقال :

يا نصر أنت فتى نزار كلها
فلك المآثر والفعال الأرفع
فرّجت عن كل القبائل كربة
بالشعب حين تخاضعوا وتضعضعوا
يوم الجنيد إذ القنا متشاجر
والبحر دام والحوافر تقرع
مازلت ترميهم بنفس حرة
حتى تفرج جمعهم وتصدعوا
فالناس كلاً ساعدا متناولاً
ولك المكارم والمعالي أجمع

وأعيد نصر إلى ولاية بلخ . ولما ولي أسد بن عبد الله خراسان المرة الثانية في سنة ١١٧ هجرية اشترك نصر معه في إخماد ثورة الحارث بن سريج الذي خلع طاعة الأمويين وانضم إلى الأتراك واستعان بهم . وكان أسد يستشير نصراً ويستنصحه ويعمل برأيه ويقبل نصيحته . وفي سنة ١٢٠ مات أسد حاكم خراسان وعزل أخوه خالد من ولاية العراق وأسندها هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي . وكان هذا الرجل غريب الشأن عجيب الأطوار ، ومزيجاً من القسوة والتعصب والخبث والأثرة . وأراد الخليفة هشام أن يختار حاكماً لخراسان ، فكتب إلى يوسف يأمره أن يوجه إليه رجلاً له علم بخراسان وأحوالها ، فأرسل يوسف إليه عبد الكريم بن سليط . ولما دخل عبد الكريم على هشام وسلم عليه بالخلافة دارت بينهما هذه المحادثة :

هشام : من أنت ؟.

عبد الكريم : أنا عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفي .

هشام : كيف علمك بخراسان وأهلها ؟.

عبد الكريم : أنا بها جد عالم ، وقد أرسلني إلى يوسف حفص بن حنظلة البهراني لأخبره بما حدث في خراسان .

هشام : إني أريد أن أولي أمرها رجلاً من القواد الذين هم مرتبون بها ، فمن ترى أن أولي أمرها منهم ؟ وأيهم أقوم بها ؟.

عبد الكريم : يا أمير المؤمنين ، أين أنت عن رجل من قوادها ذي حزم ورأي وحنكة وقوة ومكانة من قومه ؟.

هشام : ومن هو ؟.

عبد الكريم : جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني .

هشام : وكيف سمي بالكرماني ؟.

عبد الكريم : [illegible] كذلك لأنه ولد بكرمان ، فقد [illegible] المهلب عند محاربة الأزارقة فولد هناك .

هشام : لا حاجة لي في الجنابة (وكان هشام قد بدأ يمقت اليمانية ويتحول عنهم إلى المضرية) .

عبد الكريم : يا أمير المؤمنين فأين أنت من المجرب البطل الأمين ؟

هشام : ومن هو ؟.

عبد الكريم : يحيى بن نعيم .

هشام : لا حاجة لي فيه ، إن ربيعة لا تسد بها الثغور .

عبد الكريم : يا أمير المؤمنين عليك بالماجد اللبيب الكامل الحسيب ، عقيل بن معقل الليثي . ولمح عبد الكريم أن هشاماً قد لاحت على وجهه علامات القبول ، فاسترسل يقول : هو يصلح إن اغتفرت فيه هنة .

هشام : ما هي هذه الهنة ؟.

عبد الكريم : ليس بعفيف .

هشام : لا حاجة لي فيه .

عبد الكريم : الجشر بن مزاحم السلمي ، فقال شجاع له رأي مع كذب فيه .

هشام : لا خير في الكذب .

عبد الكريم : هناك ذو الطاعة لكم المتمسك بعهدكم القشيري يحيى بن الحضين .

هشام : ألم أخبرك أن ربيعة لا تسد بها الثغور ؟.

عبد الكريم : الكامل الناقد البطل الشجاع قطن ابن قتيبة بن مسلم ، إن اغتفرت منه هنة .

هشام : وما هي ؟.

عبد الكريم : لا آمنه أن أفضى إليه السلطان أن يطلب جنود خراسان بدم أبيه قتيبة ، فإنهم جميعاً تضافروا عليه .

هشام : لا حاجة لي فيه .

عبد الكريم : فأين أنت يا أمير المؤمنين من المحنك المجرب البازل الحنك نصر بن سيار إن اغتفرت منه خصلة ؟.

هشام : وما هي ؟.

عبد الكريم : ليست له بخراسان عشيرة من جنودها ، وإنما يتقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها .

هشام : وأي عشيرة أكثر مني لا أبالك ! (والتفت إلى غلام له وقال) : « يا غلام انطلق إلى الكاتب فمره بإنشاء عهده والتولي » .

ولما تمت كتابة العهد دفعه إلى عبد الكريم وأمره أن يحمله إلى خراسان .

وأحسن نصر الولاية والجباية في خراسان ، وعمرت خراسان عمارة لم تعمر قبلها حتى قال بعض الشعراء :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة
من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسفاً أخبار ما لقيت
اختار نصراً لها نصر بن سيار

وغزا نصر ما وراء النهر ، ورأى أن يحسن السياسة لتثبت أقدام المسلمين في هذه الأنحاء ، فوعدهم بكشف الظلم ورفع الجزية عمن أسلم منهم . وأعاد الكرة في غزو الترك وارتفع إلى فرغانة وأمن فيها ، وتقدم منها إلى بلاد الشاش فانقاد ملكها بالصلح ، واشترط عليه نصر إخراج الثائر الشهير الحارث بن سريج من بلاده ، فأخرجه إلى فاراب .

وكان نصر لا يرجع إلى رأي يوسف حاكم العراق في شيء ، فساءه ذلك وحاول أن يفسد ما بينه وبين هشام ، واغتنم قدوم معن بن أحمر من قبل نصر ، وكان معن يريد زيارة هشام بعد زيارته العراق ، فقال له يوسف : « أيغلبكم الأقطع على سلطانكم ؟ » ، وأخذ يغريه على نصر وأوصاه أن يقع فيه عند هشام ، والظاهر أنه مناه الأماني ووعده الوعود ؛ فلما دخل على هشام قال له في عرض الحديث عن خراسان : « جند خراسان لهم طاعة ونجدة ، ولكن ليس لهم قائد » ؛ فعجب هشام وأجابه : « ويحك وماذا فعل نصر ؟ » فأجابه معن : « إن نصراً له بأس ورأي ولكنه لا يعرف الرجل ولا يسمع صوته حتى يدنو منه ، وما يكاد يفهم منه من الضعف لأجل كبره » .

وكان أحد رجال الوفد القادم من خراسان حاضراً ولم يعجبه كلام معن ، فقال لهشام : « لقد كذب والله معن ، إن نصراً ليس بالشيخ يخشى خرفه ولا الشاب يخشى سفهه ، بل هو المجرب ، وقد ولي عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته » .

وأراد هشام أن يعزل معناً من وضع يوسف بن عمر ، ولم يلتفت إلى الوشاة ، وهكذا أخفقت دسيسة يوسف ولم يستطع زحزحة نصر عن مكانته التي نالها بجهوده الجبارة ودأبه المتواصل .

ولما مات هشام وخلفه الوليد بن يزيد ، استأنف يوسف جهوده لعزل نصر عن خراسان ، واشترى من الوليد نصراً وعماله ، فرد الوليد إلى يوسف ولاية خراسان ! وكتب يوسف إلى نصر يأمره بالقدوم عليه مع أفراد أسرته ، وكتب الوليد إلى نصر يأمره بأن يستحضر له معه من خراسان برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، وأن يجمع له كل صناجة بخراسان وكل باز وبرذون فاره ، ثم يسير بكل ذلك بنفسه في وجوه أهل خراسان ، وألح يوسف على نصر بالقدوم واستحثه ، فسار نصر إلى العراق ؛ فبينا هو يسير إلى العراق وافته أنباء مصرع الوليد ، فعاد أدراجه إلى خراسان . وساءت الأحوال بعد قتل الوليد واشتدت الخصومة بين اليمنية والمضرية ، واضطربت أحوال الدولة

الأموية اضطراباً شديداً مكّن دعاة العباسيين من استغلال الوقت واغتنام الفرصة ؛ وابتلي نصر بثورة الكرماني وخروجه عليه ووثوبه به ، وآزر الكرماني الثائر الحنظلي الحارث بن سريج ، ولم يغب عن عقل نصر البصير ملابسات الوقت . ولما آلت الخلافة إلى مروان بن محمد أبقى نصر حاكماً على خراسان ، وشغل مروان بمحاربة الخوارج والخارجين عليه في بلاد الشام ، وقوي أمر أبي مسلم ، واشتد ساعده ، وتكاثرت جموعه ، ولاح لنصر شبح الخطر الرهيب ، فأرسل إلى مروان أبياته المشهورة محذراً ومنذراً ، وهي أبيات قوية التصوير جيدة التأثير يقول فيها :

أرى خلل الرماد وميض جمر
ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري
أأيقاظ أ[illegible]

ولما تلقى مروان هذا الإنذار [illegible] والاستغاثة الصارخة كتب إلى نصر يقول : « إن الشاهد [illegible] الغائب فاحسم الثؤلول قبلك » ! فقال نصر لرجاله : « أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده » . وأراد نصر أن يستعين بيزيد بن هبيرة والي العراق فكتب إليه بهذه الأبيات البليغة :

أبلغ يزيد وخير القول أصدقه
وقد تيقنت أن لا خير في الكذب
أن خراسان أرض قد رأيت بها
بيضاً لو افرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت
لما يطرن وقد سربلن بالزغب
إلا تدارك بحبل الله معتصمة
ألهبن نيران حرب أيما لهب

فاكتفى يزيد بأن يكتب إليه قائلاً : « لا تكثر فليس لك عندي رجل » .

وهكذا تخلّى عنه الخليفة وأكبر ولاته وتُرك لمصيره ، وقد اضطر نصر إلى الفرار من خراسان . وكانت جيوش أبي مسلم تطارد هذا الشيخ الطاعن في السن من مدينة إلى مدينة من مدن خراسان ، وهو مع ذلك يقاوم في تقهقره ، ويعمل على إيقاف تقدم رجال أبي مسلم حتى قدم مدينة الري ، وأقام بها يومين ، ثم اشتد المرض فكان يحمل حملاً ، فلما بلغ ساوة أدركته الوفاة وأراحته من هذه المطاردة القاسية المرة ، والملاحقة التي لا تني ولا ترحم ، وكان قد شارف الخامسة بعد الثمانين .

وقد هز مصرع نصر الشاعر المطبوع أبا العطاء السندي فرثاه بهذه الأبيات المؤثرة التي يقول فيها :

فاضت دموعي على نصر وما ظلمت
عين تفيض على نصر بن سيار
يا نصر من للقاء الخيل أن لحقت
يا نصر بعدك أو للضيف والجار
الخندف الذي يحمي حقيقته
في كل يوم مخوف الشر والعار
[illegible] قبـاً في أعنتها
بالقوم حتى تلف الغار بالغار
من كل أبيض كالمصباح من مضر
يجلو بسنته الظلماء للساري
ماض على الهول مقدام إذا اعترضت
سمر الرماح وولى كل فرار
إن قال قولاً وفى بالقول موعده
إن الكناني واف غير غدار

وكأنما كانت حياة نصر موصولة بحياة الدولة الأموية التي ولي لها وأبلى في الدفاع عنها ؛ فقد ولد بعد ميلادها بأعوام قلائل ، ومات قبل أن ينقضي على سقوطها أشهر معدودات . وقد كان هذا الرجل الذي أفنى زهرة عمره في الجهاد جديراً بنهاية أكرم من هذه النهاية ، وبمصير أكثر إنصافاً من هذا المصير ، ولكنها مشيئة الأقدار ، ولا مرد لمشيئتها ولا دافع لقضائها .

علي أدهم

خـــواطر عن المرأة

للأستاذ محمود محمود

يتميز الأديب الإنجليزي المعاصر جورج برنارد شو بنقده اللاذع للمجتمع ، وبفكاهته البارعة التي يسخر بها من عيوب الناس . وله آراء طريفة تنتثر هنا وهناك في مسرحياته عن فنون الحياة المختلفة ، ننقل منها هنا للقارئ بعض ما جاء فيها عن المرأة :

* * *

النساء المتقلبات :

ليست الحركة شيئاً غير مستحب ، إنما هي الحياة إذا قورنت بالركود والسكون والموت ؛ هي التجديد إذا قورنت بالشيء المكرر المملول . ولا غنى للمرء عن التجديد في حياته . ولو أنك أعطيت ما اشتهت إليه نفسك من الطعام ، والموسيقى ، والكتب ، والحفلات الفنية وأي شيء آخر جميل لا يتغير — ولازمته زمناً طويلاً ، انتهى بك الأمر إلى كراهيته والنفور منه ؛ ولذا فإن النساء المتقلبات أخف ظلاً على النفوس من زميلاتهن الرتيبات المملولات ، مهما يكن تقلبهن بغيضاً على القلوب . وقد تجد منهن من تُقتل ، ولكنك لن تجد من تُهجر . إن الحياة الزوجية لا تحتمل إلا لما فيها من ساعات الضيق إلى جانب ساعات السرور . وإن قابلت رجلاً يهز رأسه متبرماً لأنه يعيش في عصر يسوده القلق ، فسله إن كان يحب أن يعيش في عصر ثابت لا يتغير . إنك إن اشتريت لنفسك سيارة لا تجعل شعارك « كلما أبطأت كان خيراً لي » . الحركة نعمة إذا أمكننا أن نقودها ونسيطر عليها ، وأن نوقفها عندما تهوي بنا إلى الهلاك .

* * *

من الحماقات :

عندما يكون الرجل والمرأة تحت تأثير عاطفة قوية سريعة الزوال ، وإحساس خادع خلوق ، نطالب إليهما أن يقسما أن يبقيا على هذه الحال التي ترهق النفس من شدة التهيج والشذوذ حتى يفصل الموت بينهما . (ذلك هو الزواج) .

* * *

اختيار الزوجة :

هل ثمة فرق بين تلك الأزواج ؟ ومن هؤلاء الأزواج من اختار كل منهما الآخر ، ومنهم من تم اختياره بالأمر والإكراه ، ومنهم من أرغمهم ظرف من الظروف على الزواج ... أما لو أخذنا هذه الرجال ووضعنا أسماءهم جميعاً في حقيبة ، وأسماء النساء في حقيبة أخرى ، ثم أتينا بطفل كفيف البصر ينتزع اسماً من هذه واسماً من تلك ، كما نعمل في اليانصيب ، لما قلت نسبة الأزواج السعداء عما هي الآن في إنجلترا . وليس كيوبيد (إله الحب) سوى هذا الطفل الكفيف البصر .

* * *

العانس المغرورة :

(حوار بين عانس ووالد)

العانس : أنا عانس عجوز متشددة ، شديدة الاهتمام بأملاكي . أحب أن يكون لي بيتي الخاص ، وأن يكون لي وحدي . وإحساسي بالجمال والتناسق والنظافة والنظام مرهف دقيق . وأنا فخورة باستقلالي ، شديدة الغيرة عليه . وعقلي مفعم بالأفكار ، تكفيني رفقته ما دام عندي الكثير من الكتب والموسيقى . والشيء الوحيد الذي لا أطيقه هو

الرجل الجلف الثقيل يدخن في أرجاء بيتي، ويغط في النوم بعد العشاء مستلقياً على مقعده، ويحلّ ظلام كل شيء.

القائد: ولكن الحب.

العانس: أوه الحب! أليس لديك خيال؟ وهلا تظن أني أحببت رجالاً من أنجب الرجال؟ أبطالاً، وملوكاً، وأمراء، وحكماء، بل وأوغاداً لهم جاذبية عظمى، وكانت لي معهم أعذب المغامرات؟ وهل تعلم كيف أنظر إلى الرجل — كرجل محب — بعد ذلك؟ الرجل الذي ترى حذاءه في كل ركن من أركان البيت، وتشم رائحة تبغه الذي يدخنه فوق كل ستار من الستائر؟.

القائد: أجل! ولكن — واسمحي لي أن أذكر هذا — ألا تريدين أطفالاً؟.

العانس: ينبغي أن يكون لي. وأحب أن أكون أمّاً طيبة لأطفالي، وأعتقد أن من الحق للأنثى أن تعرف العطاء لي ليكون لي ولد؛ غير أن [illegible] لا أستطيع أن يكون لي ولد في بيتي دون أن يكون لي كذلك رجل، ولذا فإني أقول للأنثى [illegible] من أطفالي. لو كان لابد من أن أكون أمّاً، فإني لا أستطيع أن يكون لي رجل يضايقني بأن أكون له زوجاً في نفس الوقت.

القائد: عزيزتي! أنت تعنين أني لا أحب أن أكون وقحاً، ولكني أصارحك أن هذه الآراء لا يليق بسيدة إنجليزية أن تبوح بها.

العانس: ومن أجل هذا فإني لا أبوح بها إلا لرجال مهذبين لايعيبون غير ما أحببت. والصعوبة هي — كما ترى — أني سيدة إنجليزية، وأن الضرورة بأن أكون كذلك.

القائد: أنا على ثقة كبرى من ذلك، ولم أقصد قط...

العانس: آه، يا عزيزي. أرجو أن تفكر في شيء آخر غير أنك ربما أسأت إليّ، أو أنك لم تخطئ" في سلوكك كرجل إنجليزي مهذب. إنك لم تخطئ" قط، ولكنك غبي جداً.

القائد: ها، هذا غبي، إني لست ذكياً، إنما أنا جندي ساذج سخيف.

العانس: الأمر بسيط جداً. وأنا — كما قلت" — سيدة إنجليزية، وأقصد بذلك أني نشأت على أن أستغني عما لا أستطيع أن أحصل عليه مع احتفاظي بشرفي مهما يكن ذلك الشيء.

القائد: حقاً، إني لست أفهمك.

العانس: وإذن لو تحب إذاً لماذا تريد أن تتزوج من امرأة لست تفهمها.

القائد: لست أدري. أحسب أني أحبك.

العانس: حسناً!... تستطيع أن تحبني كما تشاء، بشرط أن تبدو سعيداً بذلك ولا تضايقني. غير أنك لا تستطيع أن تتزوج بي. وهذا كل ما في الأمر.

القائد: يشق عليّ جداً أن أتلقى الأمر منك مناقشة بدلاً من أن أصير إلى رقة إحساسك يتجاوزني حدود الذوق السليم، ولكن لا ريب أن الطبيعة تشاء...

العانس: لا أقول ما يوجب السخرية!...

القائد: كيف لي إذاً أن أعرف عما أريد؟ دعينا من هذا يا... ألا تريدين لك زوجاً؟.

العانس: كلا. إنما أريد لي ولداً، وأريد أن أكرس كل شيء للولد لا لأبيه. غير أن القانون لا يسمح لي بذلك، ولذا فقد عقدت العزم على ألا يكون لي زوج أو ولد.

* * *

عشر ما يتقفاني:

تقول ماريا: ينبغي أن يكون لي بيتي الخاص المنفصل، أو جزء من البيت منفصل. ولكن (...) يدخن، ولست أطيق التبغ. وهو يعتقد أن النافذة المفتوحة يصاحبها الموت من البرد والتعرض لنسيم الليل، وأحب أن أستنشق الهواء

التي دائماً . تستطيعان أن تكونا صديقين ، ولكنكما لا تستطيعان العيش معاً ! ويجب أن يُنص على ذلك في عقد الزواج .

• • •

نظرة الفيلسوف :

لا يدخل النساء حياة الفيلسوف إلا لإفسادها ، فهن يطالبن الالتفات إليهن أكثر مما ينبغي .

• • •

الحب :

إذا أردنا أن نقرأ حديثاً عن الأعمال التي تمت في سبيل الحب فأين نبحث عنها ؟ في أشهر الصحف التي تخصص لأنباء القتل ، فهنالك نجدها [illegible] .

• • •

العوانس تحقق الفروق :

كنت حتى سن التاسعة والعشرين جاهلاً في لباسي ، لا تطيقني امرأة . أثقل خطاي [illegible] أظافرها غير مستوية ، وحذائي [illegible] ورغم ذلك [illegible] ثم وجدت لي عملاً يدر علي أجراً ، فاشتريت رداء جديداً بكل ملحقاته ! وسرعان ما دخلت سيدة تتناول الشاي ، وطوقتني بذراعيها ، وقالت إنها تحبني !!

• • •

جسد واحد وروح واحد :

يجب ألا نقع في الخطأ الشائع فنتوقع أن نصبح جسداً واحداً وروحاً واحداً . إن لكل نجم فلكه الذي يدور فيه ، وكأن بينه وبين أقرب نجم يجاوره جاذبية عظمى ، فكذلك بينهما شقة لا نهاية لها ، فإذا تغلبت الجاذبية على هذه الشقة ، فإن النجمين لا يتحققان ، وإنما يصطدمان حتى يهويا من عليائهما ! وكذلك نحن ، لكل منا فلكه الخاص ، ويجب أن تبقى بيننا شقة لا نهاية لها كي نتحاشى صداماً مهلكاً . والاحتفاظ بهذه الشقة هو كل السر في حسن المعاشرة ، وخير المعاشرة الطيبة لا يطيق الشبع ولا يحتمل .

• • •

رغبتان ملحتان :

الحب رغبتان ملحتان من رغبات الجسد : التهتك والتطهر . يُجن الإنسان في سبيل إشباع رغباته الجنسية ، كما يجن في سبيل كبتها ! وما لم نشبع هذه الرغبات يفنى الجنس البشري ، وما لم نكبتها تودي بأنفسنا إلى الهلاك .

• • •

ضرب من الانتحار :

إن أكبر تضحية في الزواج هي التضحية بحب المغامرة في الحياة ، والرضى بالاستقرار . قد يحقق الاستقرار [illegible] شيئاً مثل الموت . أما النفوس الفتية القوية فترى الاستقرار ضرباً من ضروب الانتحار .

• • •

[illegible] :

إنك — كثير من الشبان جميعاً — تبالغ كثيراً في الفرق بين فتاة وأخرى .

• • •

إنهن لا يستطعن :

احترس من هذا الوهم : إن كل الفتيات يبدأن حياتهن الزوجية وهن يعتقدن أنهن يستطعن أن يغيّرن ويصلحن الرجال الذين يتزوجونهن . إنهن لا يستطعن .

• • •

الحديث مع النساء :

سر نجاحك معهن أنك لا تأبه بأن تعاملهن كنساء فحسب ، إنما أنت تتحدث إليهن كما تتحدث إليّ أو إلى أي صديق آخر . إنك قد لا تقدر مقدار ما يصيبهن من ملل

(البقية على صفحة ١٦)

الإخلاص المتبـــــادل

للدكتور محمد أحمد أمين

قام محسن بك من مكانه بعربة (البولمان) عندما اقترب موعد قيام القطار ونزل منه مسرعاً .. ثم توجه إلى النافذة التي تطل منها زوجته مديحة .. وعندما صار قبالتها أشار إليها برأسه إشارة فهمت منها أنه يريد أن يسر إليها أمراً . فأخرجت رأسها الجميل بشعره الفاحم من النافذة فهمس في أذنها :

— اسمعي يا ميمي .. احترسي من الشاب الجالس أمامك فقد لاحظت أنه يطيل إليك النظر .. وأحسب أنه سيتحين أول فرصة للتحدث إليك .. إن الرحلة طويلة حقاً ، ولكن لديك من المجلات والروايات ما يكفي لقتل الوقت .

فأجابته زوجته :

— ما هذا الكلام يا محسن ؟ الآن تتذكر ؟ إن ما يشغل وقتي من القاهرة إلى أسوان ! لا من القاهرة إلى الإسكندرية . فأرجوك أن ..

— أعرف ذلك يا حبيبتي ولكني لاحظت عندما هممت بالخروج من الديوان أنه بدا عليه الارتياح لتركك وحدك .. أقسم لك أنه لولا ارتباطي بموعد هام لسافرت معك ورجعت بالقطار التالي ..

— محسن ! أيرضيك أن أسافر غاضبة ؟ أما يكفي قلقي على صحة والدتي .. إني الآن في حالة لا تسمح بأن توجه إلي مثل هذا الكلام وهذه النصائح . أقسم لك أنه منذ اللحظة التي تسلمت فيها البرقية التي تخبرني بمرض والدتي وأنا في حالة لا يعلمها إلا الله .. من يدري فربما ..

— أرجو أن تجديها سالمة وتجيء لها بالشفاء .. ولولا ارتباطي السابق — كما قلت — لسافرت معك للاطمئنان على صحتها . ها هو ذا القطار يتحرك .. لا تنسي أن تتصلي بي غداً تليفونياً ما بين العاشرة والحادية عشرة صباحاً .. ولا تنسي تصبيحي إليك ..

وازدادت سرعة القطار فتحركت الأيدي وغابت مديحة عن الأنظار ..

وبخطى سريعة عاد محسن بك إلى عربته خارج المحطة ، وعندما أمر السائق أن يذهب به إلى الزمالك انفرج فم الأسطى محمد عن ابتسامة رآها محسن بك فابتسم هو الآخر .

وأخذت الأفكار تراوده .. لقد خلا له الجو .. فها هي زوجته قد سافرت إلى الإسكندرية لتطمئن على صحة أمها .. وقد تمكث فيها أسبوعاً كاملاً أو يزيد .. فعليه إذاً أن يستفيد من وقته قدر الإمكان .

لقد مثل الدور بمهارة ، فقد أظهر لها اهتمامه بها وغيرته عليها ، وأفهمها أنه سيصعب عليه تحمل فراقها ، وأنه سينتظرها بصبر وترقب ، وأوصاها أن تتصل به تليفونياً في مقر عمله حتى يطمئن عليها .

وأخيراً سافرت وقد اطمأنت إلى حديثه بعد أن وعدته بالعودة بمجرد اطمئنانها على صحة والدتها . فله الآن أن يقضي الأيام القادمة بقرب إحسان .. تلك الحسناء الفاتنة التي تحيطه بجو كله سحر ودلال ..

وعندما نظر الأسطى محمد في المرآة المثبتة أمامه وجد محسن بك ، وقد استلقى في ركن العربة ، وقد أغمض عينيه وعلى فمه ابتسامة تنم عن الرضا والطمأنينة .

ووقفت السيارة أمام إحدى عمارات الزمالك فاستيقظ محسن بك من أحلامه ، ونزل مسرعاً بعد أن أمر السائق بالمرور عليه في الصباح الباكر .

.. واتصلت مـديحة زوجته تليفونياً في اليوم التالي وأخبرته أنها وجدت صحة أمها سيئة للغاية، وأنها لا تدرى تماماً موعد عودتها إلى القاهرة .. فأجابها محسن: بأنه مشتاق إلى حضورها متألم لغيبتها، ولكنه نصحها بالبقاء مع أمها حتى تطمئن تماماً على صحتها وزوال الخطر.

ومرت الأيام مرور البرق، وانصرم الأسبوع وانتصف الأسبوع الذي يليه .. وحان موعد عودة زوجة محسن بك فودع خليلته مسرعاً بعد أن أخبرها أن زياراته لها ستصبح قليلة خاطفة وفي أوقات متباينة.

فأبدت إحسان استياءها، ولكن هذا الاستياء تلاشى بسرعة عندما أخرج محسن بك من جيبه سواراً ذهبياً ثميناً وقد طبع اسمها عليه، وقدمه إليها.

فهل استمتع حقاً بهذه الفترة التي قضاها مع خليلته؟ كلا .. فاللذة التي كان يشعر بها أثناء زياراته لها قد أصبحت في حكم العدم، وبدأ يشعر بانحطاط نفسه وتوبيخ ضميره.

لذلك لم يكن بالشائق عندما استقبل زوجته عند رجوعها استقبالاً رائعاً، ولم يكن بالمتكلف [illegible] إليها، وأنه لن يدعها تتركه مرة أخرى ولو لحظة واحدة.

ولما ذهب ليشترى السوار لإحسان أراد أن يكفر عن خيانته لزوجته المخلصة، فلم يترك الدكان إلا ومعه سوار آخر لمديحة يفوق سوار إحسان دقة وجمالاً.

وجلس الزوجان إلى المائدة يتحدثان في انتظار حضور الطعام .. ورفعت مديحة (فوطتها) فتبدت في طياتها سواراً يلمع، فصاحت مهللة وقامت من مكانها لتقبل زوجها قبلة شكر .. وحب ..

وابتسم محسن بك راضياً، وقد ارتاحت نفسه ومد يده ليتناول (فوطته)، فإذا به يجد في طياتها سلسلة ذهبية تلمع .. فسكنت يده بغتة.

وزالت ابتسامته في الحال ..

وعندما أحضر الخادم الطعام وجد الزوجين مطرقين، وقد علاهما الوجوم والصمت.

محمد أحمد أمين

خواطر عن المرأة

(بقية المنشور على صفحة ١٤)

عندما تعاملهن بالاحترام الواجب لجنسهن اللطيف.

***

شر الآثام

إنك لا تبلغ نهاية السخط من النساء إلا أنت كرهتهن، إنما شر ما ترتكب معهن من إثم أن تهملهن فلا تمنحهن حباً أو بغضاً، فالإهمال أبلغ قسوة من البغض. ولو راقبت الناس ملياً لأدركت أن البغض عندهم كالحب سواء بسواء.

***

الزواج في سن الأربعين:

إنك يا صاحبي لم تدرك طبيعة اعتراض شارلوت على الزواج منك. ليس الأمر حباً أو كرهاً بالمعنى المألوف، إنما هو اعتراض عليك لا اعتراض على أبي وأخي وكل من يكون جزءاً من الماضي الذي لم يكن لها فيه نصيب. إنك [illegible] الغرفة التي أقيم فيها حفل عقداً بخمس [illegible] الأثاث تملك في بيتك، أما هي فتشعر أنها غريبة في هذا العالم. وهذه هي المشقة التي يجلبها الرجل عندما يتزوج في سن الأربعين.

***

لماذا يختلف الزوجان:

إنما يختلف الزوجان لأنهما لا يعرفان ما يصنعان بغير ذلك. ولا يعرفان وسيلة أخرى للتسلية. إنك لا تعرف يا صاحبي كيف يكون الرجل وحيداً مع امرأة نصيبها من الجمال قليل ومن سحر الحديث أقل. ماذا يستطيع الرجل أن يفعل؟ إنها لا تستطيع أن تتحدث حديثاً مشوقاً، وإن فعل هو فإنها لا تفهمه. وهو لا يستطيع أن ينظر إليها، وإن فعل لا يرى فيها أي لون من ألوان الجمال. وقبل أن تنقضي بضع دقائق يدب في نفسيهما الملل الشديد، ولا يخرجهما من هذا المأزق إلا أن يتنازعا.

محمود محمود

أهداف الفلاسفة

الأستاذ عبد المنعم المليجي

لا يقف الفيلسوف في تأمله عند حد إرجاع الظواهر الطبيعية التي يدركها بجوارحه إلى عللها وأسبابها القريبة، ولا هو يقنع باستخلاص العبر والعظات المتناثرة شأن حكماء الشعب، إنما هدفه الذي لا يفارق ذهنه، أن يجد تنظيم العالم، بل الوجود بأسره على أساس معقول. العالم كما تدركه حواسه يتكون من أجزاء لا حصر لها، تنسجم أحياناً وتتنافر في كثير من الأحايين؛ ويأبى عقله إلا أن يرد الكثرة إلى الوحدة، يرد الظواهر المتعددة إلى علة واحدة ليس من ورائها علة؛ ويأبى عقله إلا أن يحيل الفوضى البادية في الواقع إلى وحدة متسقة يتصورها تصوراً منطقياً. من أجل هذا نشأت المذاهب الفلسفية، وما كانت غير محاولات عقلية قام بها الفلاسفة لتكوين الوحدة تصوراً معقولاً يتفق مع العقل، ويفسر له كل ما يجري في الكون من أحداث، بحيث لا يترك ثغرة إلا ملأها [illegible] من المذهب. ومن أجل هذا لم يقنع الفيلسوف بدراسة العالم الموضوعي البادي لحواسه كما يقنع العلماء؛ وكيف يقنع وكثير من الأمور التي تجري في عالمنا لا نجد لها تفسيراً في هذا العالم المحدود؟

إذاً فليحلق فوق ظواهر الطبيعة، وليتجاوزها إلى ما وراءها، إلى «ما وراء الطبيعة» لعله يهتدي إلى التفسير الكافي ويجد السر الخافي. ولا يزال الفيلسوف يعلو ويعلو على جناح التأمل، حتى لا يعود يميز التفاصيل التي يغرق فيها عامة الناس، ولا يعبأ بالروابط العلية القريبة التي تشغل جمهرة العلماء، إنما يرى الكون في مجموعه كلاً واحداً متكاملاً، فيكب على الأمور العامة يفحصها بمنطق العقل الذي قد يتفق ومنطق الواقع التجريبي لدى بعض الفلاسفة الواقعيين، وقد يتعارض معه لدى المثاليين منهم.

أوضح ذلك بمثال: كل كائن طبيعي لا يثبت على حال واحدة، بل تطرأ عليه في كل لحظة تغيرات لا حصر لها من حيث تركيبه، وما يجري في بنيته من تفاعلات كيميائية، وما تثيره فيه البيئة من سلوك وتصرفات. وبوسعنا أن نمضي في تعداد مظاهر التغير دون أن نتوقف. لا يعني الفيلسوف أن يقف عند تلك المظاهر المتغيرة، بل هو يتأمل التغير في ذاته بصرف النظر عن الأمور المتغيرة، يستخلص من عالم الطبيعة فكرة التغير (أي الحركة) بوصفه تعميم؛ ويتساءل: هل الحركة البادية في حركة ظاهرية توهمنا بها الحواس للتغير؟ أم أن كل وجود يمضي ويعقبه وجود آخر لا استقرار له بوجوده؟

أجاب «هرقليطس» الفيلسوف اليوناني القديم: [illegible] التجدد المستمر، الأشياء تزول [illegible] الحركة الجارفة الشاملة. ويحس هرقليطس [illegible] الإحساس غير قليل من المفكرين — أن الإنسان القائم في هذا الخضم المائج الآتي لا يستطيع أن يعرف شيئاً، لأنه قبل أن يشير إلى الشيء يكون قد مضى وأمسى على حال غير الحال؛ كل شيء بالنسبة إليه زائل قبل أن يعرفه. وهكذا قد تمضي بنا نظرية التغير المستمر إلى نظرية أخرى في المعرفة الإنسانية: عجز العقل الإنساني عن الوصول إلى حقيقة ثابتة عامة، ولا سبيل إلا إلى حقائق متغيرة بتغير الأشياء والأشخاص، فالفرد مقياس كل شيء: ما رآه حقاً فهو حق بالنسبة إليه، وما رآه غيره حقاً فهو حق بالإضافة إلى ذلك الغير؛ فلا يطمئن المرء إذاً إلى علم أياً كان، لأن العلم لا يقوم بغير الحقائق الكلية الثابتة رغم تغير الموجودات الفردية.

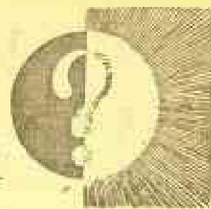
لنعد ثانية إلى عالم الواقع لعلنا نصل إلى فلسفة تمحص فلسفة التغير المستمر. يطرأ على الإنسان منذ طفولته، بل منذ كان نطفة في قرار مكين، تغيرات متعاقبة حتى يكبر

ويشب من الطوق ويصير شاباً فكهلاً فشيخاً ؛ ولكنه رغم هذه التغيرات جميعاً هو الإنسان الذي لا يختلف تعريفه مهما اختلفت الأفراد التي تصدق عليها كلمة إنسان . ألا يعني ذلك أن التغير الذي يصيب الفرد في مظاهره لا ينفي وجوداً يكمن وراء الظواهر ، ذلك هو جوهره أو ماهيته الثابتة الواحدة في جميع الأفراد ، أو في الفرد الواحد في جميع الظروف ؟

الحركة إذاً تنال الظواهر دون الجواهر ، والأعراض دون الماهيات . وما الظواهر والأعراض موجودة حقاً ، إنما الوجود الحق الجواهر والماهيات . الظواهر والأعراض كاللون والشكل والحركة والطعم والحجم والثقل ... ندركها بحواسنا . أما الجواهر والماهيات فنستنبطها ونستنتج صفاتها بالعقل وحده الذي يدرك ما وراء الواقع المحسوس . والخلاصة التي نخرج بها أن الوجود الحق ليس حركة وتعدداً ، ولكنه وحدة وثبات ؛ وأن العلم ممكن طالما هنالك شيء ثابت بوسع المرء أن يشير إليه . ويذهب بعض الفلاسفة هذا المذهب فيؤمنون بالحس ، ويؤمنون بالعقول . يؤمنون بالوجود المادي ، ويؤمنون بوجود لا مادي نسميه روحياً أو عقلياً ، ويرون أن معرفة الوجود المادي بحواسنا توصلنا إلى إدراك الوجود العقلي بعقلنا أي بالاستدلال المنطقي ، ولكنهم يعتبرون العلم الحق هو العلم بالعقل لا بالحس .

بيد أن فلاسفة آخرين يغالون في نزعتهم العقلية المثالية ، فلا يكتفون بتفضيل الوجود الروحي على الوجود المادي ، والمعرفة العقلية على المعرفة الحسية ، بل ينكرون الوجود المادي إطلاقاً : يعتبرون العالم الطبيعي الذي نحيا فيه ، ونضطرب في جنباته مع كائنات وأشياء ندركها ونحسها ونتأمل زواياها ، يعتبرون هذا العالم أوهاماً تهيئها لنا حواسنا الخادعة ، ولا يعترفون بوجود غير وجود الأفكار التي نتمثلها بأذهاننا ، دون أن ندركها بحواسنا ؛ من هؤلاء : بارمنيدس وأفلاطون في الفلسفة القديمة ، وباركلي وهيجل في الفلسفة الحديثة .

عبد المنعم المليجي



كيف

نجوم بغير ضـــوء

للأستاذ حسن محمد حسن

في عام ١٧٨٣ منحت الجمعية الملكية بانجلترا ميدالية كوبلي، وهي أكبر شرف تمنحه الجمعية، لشاب أصم أبكم منذ الولادة اسمه جون جودريك، استطاع بحدة إبصاره إلى درجة جعلت اسمه بين مشاهير الفلكيين! فقد كان أول من افترض وجود نجوم مظلمة. ومع أن جودريك مات في سن مبكرة، إذ لم يتعد الثانية والعشرين، إلا أنه أجرى مشاهدات عديدة في مرصد منزله بيورك. وكان أول من قام بدراسة منتظمة للتغيرات في بريق النجم المسمى «الغول».

يسطع هذا النجم ببريق ثابت مساو لبريق النجم القطبي في الشدة مدة يومين ونصف تقريباً، ثم يتضاءل ضوؤه فجأة، وفي مدى حوالي أربع ساعات ونصف يخبو بريق النجم حتى يصل إلى ثلث بريقه الأصلي، ثم بعد ثلاث ساعات ونصف يسترد بريقه الأصلي الذي يظل ثابتاً مدى تسع وخمسين ساعة. وهذه التغيرات تتعاقب بتوقيت دقيق منتظم لدرجة أنه في الإمكان حساب أوقات بدء تضاؤل ضوء «الغول» مدى سنوات مقدماً. وهي محسوبة بالفعل وموضوعة بجداول ضمن التقاويم الفلكية والمطبوعات التالية. وهذه الأوقات معروفة بدقة كبيرة جداً، لدرجة أن الفلكي يمكنه الاستعانة بجدول منها لضبط كرونومتره! وذلك بملاحظة وقت بدء تضاؤل ضوء «الغول» ومقارنته بالزمن المبين بالجدول.

والتفسير لهذا التضاؤل الدوري في ضوء «الغول» افترض جودريك وجود جسم مظلم يدور حول النجم، بحيث يعترض سبيل ضوئه إلينا دورياً مسبباً كسوفاً جزئياً في كل دورة من دوراته. ولما كان النجم لا يمكن رؤيته أكثر من نقطة ضوئية مهما كانت قوة المرقب المستخدم لرؤيته، فإنه يستحيل في هذه الحالة تمييز أي تفاصيل لجسم مظلم على قرص مضيء كما نرى في حالة كسوف جزئي للشمس بواسطة القمر! إلا أن تفسير جودريك بدا معقولاً تمكنه من تعليل التغيرات المشاهدة.

ولم يثبت الدليل القاطع على صحة فرض جودريك إلا بعد مضي أكثر من قرن عليه، وكان الوصول إلى هذا الدليل عن طريق وسائل غير مباشرة. فإذا فرضنا أن «الغول» كان له رفيق مظلم، فإن الغول ورفيقه لابد أن يدورا حول نقطة توازنهما المشتركة أو ما يسمى بمركز ثقلهما، فعندما يكون الجسم المظلم مقبلاً علينا قبل أن يمر أمام الكرة المضيئة تكون هذه الأخيرة مدبرة عنا، وعندما يكون الرفيق المظلم متراجعاً بعد حصول الكسوف يكون النجم المضيء متقدماً نحونا. وعلى ذلك فإنه إذا كان تفسير جودريك لسبب التغير في ضوء «الغول» صحيحاً فلابد أن يقبل الغول علينا ثم يدبر عنا في دورة تتفق مع التغيرات في بريقه.

وقد أثبت المطياف أن هذه الحركات الدورية «للغول» من إقبال وإدبار تحدث فعلاً. والمطياف آلة ضوئية يمكن بواسطتها تعيين سرعة إقبال نجم نحو الأرض أو إدباره عنها بدقة إلى كسر الميل في الثانية! وباستخدامه أثبت «فوجل»

عام ١٨٨٨ في مرصد بوتسدام أن « الغول » يدبر عن الأرض بسرعة تقرب من أربعة وعشرين ميلاً في الثانية قبل أن يتضاءل ضوءه ، ثم يقبل نحونا بمعدل ثمانية وعشرين ميلاً في الثانية تقريباً بعد حدوث هذا الكسوف الجزئي له ! وبأخذ السرعة المتوسطة ستة وعشرين ميلاً وصف الميل في الثانية يمكن بسهولة حساب عدد الأميال المقطوعة حول نقطة التوازن في الدورة بأكملها ، وهكذا يمكننا إيجاد قطر المدار . وبمعاونة هذه الأبعاد وزمن الدورة الكاملة يمكن تعيين كتلة « الغول » ورفيقه بالنسبة إلى كتلة الشمس ، وذلك باستخدام القانون الثالث لكبلر المسمى بالقانون التوافقي . وبهذه الكيفية نصل إلى أن قطر الرفيق المظلم « للغول » يساوي تقريباً قطر الشمس ، في حين أن « الغول » نفسه أكبر من ذلك بقليل .

هذا الرفيق المظلم لم تقع عليه للآن عين بشرية ، وأغلب الظن أنها لن تقع عليه ، ومع ذلك فليس هناك أدنى شك لدى الفلكيين في وجوده ، بل ولا يمكن أن يتسرب الشك في وجوده لأي عقل يكون قد [illegible] أمدنا به الطيف . وقد عرف حتى الآن [illegible] هذه النجوم المزدوجة التي يتغير ضوؤها [illegible] « الغول » . ويشير الشكل منها تابع مظلم يدور حول النجم المضيء بانتظام كانتظام الساعة .

هذه النجوم المظلمة التي تحجز عنا دورياً ضوء رفقائها الساطعة تشهد على وجود عوالم أخرى في الفراغ غير مرئية . ويقدر الفلكيون أن نجماً من كل ثلاثة أو أربعة نجوم له شريك قريب منه تستحيل رؤيته . وقد تستعيد طرق البحث تكشف لنا عن أجسام عديدة لا يستطيع المرقب توضيحها للعين البشرية . ولكن حتى بدون هذه الطرق لدينا الدليل الكافي على وجود عالم شاسع من النجوم غير المرئية . ولعلماء الفلك بدراسة هذه الكتل المظلمة لا يقل عن اهتمامه بدراسة الأجسام التي تشع الضوء .

وهكذا دلّل الطيف على وجود نجوم مظلمة ، ولكنه لم يكن الوسيلة الوحيدة لإقامة الدليل على وجود مادة غير مرئية في الفراغ ؛ فقد أثبت المرقب وآلة التصوير أن مناطق السماء التي تظهر كأنها فارغة تكون في كثير من الحالات مليئة بالنقط الثلاثة ومناطق الضوء السماوي الرقيق لدرجة تجعله غير مرئي للعين المجردة . ولوح التصوير إذا وجهناه نحو الفضاء اللانهائي قد لا يسجل شيئاً لأول وهلة ، ولكنه إذا ترك كذلك قدر ساعة أو نحوها لانطبعت عليه آثار متراكمة لأشعة ضعيفة تعمل باستمرار مثبتة وجود ضوء في طبقات ظلام الفضاء ! وقد ساعدت هذه الوسيلة على التنبؤ بمواضع نجوم ومساحات من الضباب السماوي لم تقع عليها عين إنسان مباشرة .

وهكذا تخرج العوالم الجديدة تباعاً من الظلمات إلى النور كلما تقدمت أساليب مراقبة السماوات وارتقت عددها وآلاتها . فقد كان الاعتقاد السائد في وقت من الأوقات أن الملايين العديدة من النجوم المستطاع رؤيتها باستخدام أكبر مرقب أو تسجيلها بآلات التصوير ، هي كل ما يحتويه الجزء [illegible] الذي نحيط به « طريق المجرة » ، ومنها يتكون [illegible] الظاهر أجمعه . أما الآن فالمعروف أن كل [illegible] الذي يدخل في تكوينه ما هو إلا جزء من العالم [illegible] ما يقرب من مئة ألف مليون من النجوم ، وأن العين المجردة لا ترى منها إلا ما يقرب من [illegible] آلاف نجم .

فكأن كل كشف علمي يزيد وصل الى اعتقادنا أن الشيء القليل فقط قد تم إنجازه وبقي الشيء الكثير ينتظر إنجازاً ، أو كما قال نيوتن قبيل موته : « لا أدري ماذا يظن بي العالم ، ولكني أرى في نفسي كما لو كنت غلاماً يلعب على شاطئ البحر مسلياً نفسه بالعثور على حصاة ملساء تارة ، وقوقعة جميلة طوراً ، بينما يظل خضم الحقيقة أمامه مجهولاً » .

فالإنسان من الناحية المادية ليس إلا جزءاً ميكروسكوبياً من العالم ، ومع ذلك تجده عقله في صعود دائم محاولاً الوصول به إلى قمم أعلى الخيال بروح مقدامة لا تعرف الهزيمة . وبرغم معرفة الكثير من السماوات وما تحويه من نجوم ، فإن الفراغ اللانهائي يظل مليئاً على الحد من كبريائه ، ولكنه يتابع تحقيق المجهول ، وسيواصل هذا البحث أولاده وأحفاده من بعده .

حسين محمد حسين

السكارين ... أحلى من السكر خمسمائة مرة

للأستاذ سيد خليل شهاب

يضرب المثل في الحلاوة بالسكر ، ويعتقد البعض أن السكر هو أحلى شيء في الوجود . ولكن الواقع غير ذلك ، فإن من المركبات الكيميائية التي أنتجت ما هو أحلى من السكر بكثير . من أهم هذه المركبات السكارين Saccharine فما هو السكارين هذا ؟ وما قيمته الغذائية ؟

السكارين مركب كيميائي يمكن تحضيره بسهولة في المعمل ويحضر على نطاق واسع التجارة من إحدى نواتج التقطير الإتلافي للفحم الحجري وهو التلوين Toluene . وفي عملية التقطير الإتلافي هذه ، يسخن الفحم الحجري في معزل عن الهواء تسخينا شديدا وتكثف نواتج التقطير . ومن هذه النواتج يمكن أن تفصل مادة التلوين هذه ... وبسلسلة من التفاعلات الكيميائية البسيطة يمكن الكيميائي أن يحول هذا المركب الرخيص إلى مادة حلوة جدا هي السكارين .

من أهم مميزات السكارين أنه [illegible] أنه يفوق السكر في حلاوته بمقدار [illegible] أقل منه ذوبانا في الماء . ولقد أمكن الحصول على أحد أملاح السكارين ، سريع الذوبان في الماء ، وإن كان أقل نوعا ما في حلاوته عن السكارين ، ووجد أنه أكثر حلاوة من السكر بمقدار أربعمائة مرة . ويتميز السكارين عن السكر بأنه يحتوي على عنصر الكبريت الذي بواسطته يسهل التمييز بين السكر والسكارين في تحليلهما .

ومن المؤلم حقا أن تكون للسكارين هذه الحلاوة الشديدة ، ولا تكون له بجانب هذا أدنى فائدة للجسم . ولقد اعتبرت هذه نقطة ضعف وجهت إلى السكارين ، ولولا هذا العيب لكان للسكارين الآن شأن آخر . فالسكارين لا يفيد الجسم في شيء ، فهو غير قادر بتاتا على تزويد الجسم بالطاقة الحرارية التي يزوده بها السكر نفسه ، ولا في استطاعته أن يبني شيئا من أنسجة الجسم التالفة ؛ فلهذا كان استعمال السكارين شيئا غير مرغوب فيه لعدم فائدته للجسم .

كثيرا ما يعاني مرضى البول السكري تعبا في استعمال المواد السكرية والنشوية ، وكثيرا ما ينصح الأطباء هؤلاء المرضى بتقليل كمية المواد السكرية والنشوية إلى حد ضئيل فلا يتناول المريض منها إلا بقدر ما يحدده الطبيب ، وكثيرا ما يمر هذا في نفوسهم وخصوصا أولئك المعتادين على تناول المواد الحلوة ، فيجد هؤلاء المرضى عزاءهم في السكارين ! ففي استطاعة الشخص أن يحلي فنجانا كبيرا من الشاي بقرص صغير من السكارين يبلغ حجمه نصف حجم الحمصة ، وبهذا يستطيع المريض بالسكر أن يرضي رغبته وفي نفس الوقت لا يحدث السكارين في جسمه المتاعب التي يحدثها السكر نفسه . وإن كان جسمه لم يستفد من السكارين شيئا . وليس معنى هذا أن يتناول المريض بالسكر مقادير كبيرة منه . ولكن يجب دائما أن يكون استعماله ومقاديره [illegible] الطبيب المعالج ضمانا لحسن سير العلاج .

ولما للسكارين من حلاوة بالغة ، فقد لجأ إليه كثير من [illegible] عمل الحلوى والشربات ، فاستعملوه بدلا من [illegible] أزمة السكر خلال الحرب ، فكان الشعب [illegible] الحلوى فيجدها لا تختلف عن مثيلاتها المصنوعة من السكر في شيء . وإن كانت القيمة الغذائية قد نقصت نقصا ملحوظا ، لأن السكر والمواد النشوية عموما إحدى الدعامات التي يبنى عليها الغذاء الصحي السليم . ولكن وزارة الصحة الساهرة على صحة الشعب لا تترك محلا من هذه المحلات دون أخذ عينات منها لتحليلها في معاملها للتأكد من أن أصحاب هذه المحال يستعملون السكر حقيقة . ومن السهل على الكيميائي في أي معمل أن يفرق بين السكارين وبين السكر في أي غذاء كان .

يباع السكارين في مخازن الأدوية والصيدليات لأي فرد ، في علب صغيرة ، كل علبة بها مائة حبة صغيرة من السكارين ، وهذه الحبوب لا تتعدى الواحدة منها حجم نصف الحمصة . وتباع بسعر تافه ضئيل لا يتجاوز قروشا معدودة .

هذه لمحة عن إحدى المركبات الكيميائية التي بلغت في الحلاوة مبلغا كبيرا ، ولكن شاءت الأقدار أن تذهب سدى .

سيد خليل شهاب



اللحيـــة وتاريخهـــا

للأستاذ مبارك إبراهيم

أولئك الذين لا يحبون اللحى في عمومها ، أو لحية من اللحى في حالة من حالات الخصوص ، قلما يترددون في إعلان سخطهم .

والمعروف من أصحاب الأعمال أنه إذا جاءهم ملتح يطلب عملاً أشاروا إشارة يفهمها اللبيب أن إزالة اللحية لها أثرها في الحصول على العمل المرجو ... بعد حين .

ويحكى أن أسقف « كليرمون » ... كليرمون الجزويت ، كان صاحب أجمل لحيـة في فرنسا .

ولذلك فقد اجتمع كهنة الكنيسة في هيئة مجمع عام ، وأعلنوا فيما بينهم أن لحية الأسقف قد بلغت من الجمال حداً لا يليق بأسقف من أساقفة الكنيسة ، ثم أجمعوا أمرهم على إزالة تلك اللحية ؛ وترصدوا له حتى جاء إلى الكنيسة فأحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وقد حمل هذا الموسى ، وأمسك هذا بالمقص ، وأمسك واحد بالصابون ، وأمسك آخر بالماء الساخن .

وما أن رأى الأسقف أولئك الحلاقين المزعومين حتى ولى منهم فراراً ، واعتصم بقصره في «Beau Regard» حيث مات بعد مرض قصير لحقه من أثر ما أصابه من غيظ وحنق على أولئك الذين حاولوا إلحاق الأذى بلحيته .

وفي روسيا ، وفي حكم بطرس الأكبر ، كان أصحاب اللحى في زمرة غير المرضي عنهم ، بل كانت تفرض على لحاهم الضرائب والمكوس .

وفي عام ١٧٠٥ أصدر بطرس الأكبر مرسوماً بفرض إتاوات على اللحى تختلف انخفاضاً وارتفاعاً باختلاف أقدار أصحابها ... على لحية التاجر الكبير ترتفع إلى مائة روبل ... العادي فضريبتها ستون روبلاً ، أما الفلاحون ... أما خدم الكنيسة فلا يدفع الواحد منهم إلا ثلاثين روبلاً .

وقد أعفيت بعض طبقات الفلاحين من دفع ضريبة اللحى ما داموا في قراهم ، وما داموا لا يطئون أرض المدن .

وبلغت الحرب التي شنها بطرس الأكبر على اللحى أشدها في عام ١٧٢٢ يوم طلب إلى مجلس الشيوخ أن يصدر قانوناً يوجب على كل موظف ملتح أن يرتدي ملابس الأجيال الخالية ، ومن يخالف عن ذلك يدفع غرامة مقدارها خمسون روبلاً ، ومن كان منهم معسراً فعليه أن يعمل في السجون أياماً يوازي أجرها مبلغ الغرامة .

وقد أبيح لكل مرشد من المرشدين أن يأخذ بخناق كل ملتح ، وأن يسوقه إلى المحاكمة ، وعند ثبوت التهمة

والحكم في الدعوى يقص الرقعة لنصف مبلغ الغرامة ، وكذلك يأخذ ملابس المحكوم عليه .

وكان أتباع النظام الديني القديم في روسيا يطلقون لحاهم تشبهاً برجال الدين ؛ ولما كان هؤلاء يقفون سداً منيعاً في وجه الإصلاحات التي كان يريدها بطرس الأكبر ، فقد كان يرى في كل ملتح خارجاً على الإصلاح الديني المنشود .

وفي انجلترا ، وفي عهد الملكة اليصابات ، كانت اللحية مرغوباً فيها ، بل كانت تعتبر مكملة لرجولة الرجال .

ولذلك فقد كنت لا ترى رجلاً — مهما تكن مرتبته — إلا ملتحياً . وكان شباب القوم يتبارون ويتنافسون في تجميل لحاهم وتزيينها ، كلون من ألوان الأناقة ، فكان منهم من يثبتها بالنشا ، وكان منهم من يصبغها ؛ وكان لون الصبغة المحبب إلى كل قلب هو اللون القرمزي .

وكانت اللحى يومئذ مختلفة الرسم والشكل ، فمنها التي تشبه المذراة في تشعبها ، ومنها ما تشبه ذيل العصفور ، ومنها ما تشبه المعول ، ومنها المقصوص [illegible]

أما لحية رجال الدين فكانت طويلة عريضة غزيرة .

وقد كتب كاتب من كتاب ذلك العصر يصف من أنواع اللحى لحية كانوا يسمونها لحية فانديك . وهي لحية نزرة الشعر ، لونها أحمر يميل إلى الصفرة ؛ وقد سميت كذلك لأن فانديك وكذلك يهوذا الأسخريوطي كانا يمثلان في الصور القديمة بمثل تلك اللحية .

وذكر ذلك الكاتب أيضاً اللحية التي أكل الفار أطرافها ، فخصلة هنا وخصلة هناك .

وكان الملتحون يحملون أمشاطاً لمشط لحاهم . وكان حاملوا اللحى التي تشبه المروحة يضعون لحاهم أثناء الليل في غشاء مبطن لتبقى سليمة التنسيق .

وفي رواية حلم ليلة صيف لشكسبير سأل سائل : بأية لحية يراد له أن يمثل دوره ، فلما تركوا له أن يختار عدد صنوفاً منها وألواناً .

وفي روايات شكسبير إشارات كثيرة إلى اللحى ؛ فقد جاء في إحداها على لسان أحد شخوص الرواية قوله : إن من اللحى ما تقابل بالسخرية والاستهزاء ، ومنها ما تكون أداة للقسم ، فيقال : وحق لحيتي لأفعلن كذا ...

وفي رواية « مكبث » يجد القارئ إشارة إلى الاعتقاد الذي كان سائداً منذ قرون ، وهو أن المرأة الملتحية إنما هي إحدى الساحرات ، فيقول « بانكو » عندما التقى بالساحرات الثلاث : أنتن نسوة ، ما في ذلك شك ، ولكن يمنعني عن التصديق أنكن ملتحيات ! .

ولقد اختلفت أقوال القائلين في اللحى مدحاً وذماً ؛ فالأمثال القديمة يقولون : « لن تجد حسن إدراك الأمور إلا عند ذوي اللحى » . والإنجليز القدامى ، إنجليز القرن السابع عشر يقولون : « لم تكن اللحية يوماً دليلاً على رجاحة العقل » .

وفي الحضارات القديمة ذاقت اللحى ألواناً من كؤوس البؤس والنعيم . وقد أتى على الإنسان حين من الدهر كان [illegible] أتى عليه حين من الدهر كان يعطل [illegible] ولم تنبت لحيته .

وفي مصر الفراعنة كانت مكانة الرجل في المجتمع تعرف بشكل لحيته وطولها ، فلملاك الأرض والتجار والعلية من القوم عامة كانت لحاهم تبلغ البوصتين طولاً .

أما الفراعنة العظام فكانت لحاهم يتراوح طولها بين الأربع والست بوصات .

ويبدو أن اللحى كلها كانت لحى مستعارة ، وأنها كانت تصنع من خصل من الشعر تمسكها أربطة تلف حول الأذنين .

وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد كانت « الملكة حتشبسوت » تلبس لحية مستعارة ، وربما يرى الرجال إذا اجتمع الحفل ، وذلك لتخفي أنها أنثى ، ولتستبقي في يدها كل سلطان الفراعنة .

وفي التوراة وصف للحية كانت صاحبها يدع في

تشبيهها ، وكان يذر عليها ذروراً مشوباً بالتبر المسحوق .

وكان من عادة القدماء من الإغريق والآشوريين ومن بعث إليهم من أجناس أخرى أن يجعلوا لحاهم في شكل تجاعيد منسقة .

وقيل إن داود عليه السلام قد أرسل رسله مرة إلى ملك من الملوك في بعثة سلمية ، فما كان من هذا الملك إلا أن حلق للرسل نصف لحاهم ، فلما علم داود بهذا أمر رسله أن يبقوا حيث هم حتى تطول لحاهم مرة أخرى .

وقد أقل نجم اللحى بطلوع نجم الإسكندر الذي كان يأمر جنوده بأن يحلقوا لحاهم حتى لا يستطيع عدوهم أن يمسكهم منها .

وفي روما بدأت حلاقة اللحى في عهد سيبيو أفريكانوس القائد الروماني المعروف بسيبيو الأكبر (٢٣٧ — ١٨٣ ق م) وكان هذا القائد يحلق ذقنه يومياً .

وكان شباب الرومان يؤرخون عيد الرجولة عندهم باليوم الذي يحلقون فيه لحاهم لأول مرة وكانوا يحتفلون بهذا اليوم ويقبلون تهاني المهنئين .

وأول من حبب الناس إطالة اللحى هو الإمبراطور « هادريان » ، وذلك لكي يخفي ندوب جروح كان قد أصيب بها . وتبعه في هذا الإمبراطوران « أنطونيوس بيوس » و « مارك أوريليوس » وكان كلاهما فيلسوفاً .

وأصبحت اللحية آية التوقير وعلامة الاحترام عند الأباطرة اللاحقين ، فلما جاء المسلمون أصبحوا يوقرون كل ذي لحية ، ثم جاء الملوك فاستنوا لرجال بطانتهم أن يكونوا ملتحين .

أما هنري الثامن ملك انجلترا فقد كنت تراه تارة ملتحياً ، وتارة غير ملتح ، ولكنه في عام ١٥٣٥ أمر رجال حاشيته بألا يزيلوا لحاهم .

وكان « هنري الثامن » قد أقسم قبل ذلك ألا يزيل لحيته حتى يلتقي وفرنسوا الأول في ساحة الوغى . وقد أقسم فرنسوا مثل هذا القسم ونقضه ، ولكن هنري لم يبر بوعده .

ويحذر أحد المؤرخين عن هنري الثامن بأنه قد فعل ذلك إرضاء لمليكه حينذاك ، وقد كانت تكره « اللحية الكثيفة » كرهاً شديداً ، وتخالفها في ذلك ملكة سابقة هي زوجة لويس السابع ملك فرنسا ، فقد أحست الضيق والحرج يوم أزال مليكها لحيته .

وقد تعاور اللحى بعد ذلك السعد والنحس ، فكانت تبقى حيناً ، وكانت تزول أحياناً ، وكانت حيناً تقصر ، وكانت حيناً تطول ...

(من الإنجليزية) مبارك إبراهيم

نقد الكتب



«بغــــداد»

لابن طيفور أبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المروزي

نشر وتحقيق «مكتب نشر الثقافة الإسلامية»

للأستاذ سعد محمد حسن

لا نكاد مع الأسف نعثر على ترجمة شافية تعرفنا بابن طيفور، إذا استثنينا تلك السطور المدونة التي دوّنها البغدادي وياقوت وابن النديم، وقد أخطأ ابن خلكان فلم يشركه في وفياته، وسار في غباره ابن شاكر الكتبي فأسقطه من فواته ...!

ومهما يكن من شيء، فقد ولد صاحبنا أبو الفضل أحمد ابن طاهر الكاتب بمدينة بغداد يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر صفر عام ٢٠٤ هـ — ٨١٩ م — وهو العام الذي دخل فيه المأمون مدينة المنصور — وبها توفي ودفن بمقابر «باب الشام» ليلة الأربعاء لأربع بقين من جمادى الأولى عام ٢٨٠ هـ — ٨٩٣ م.

وقد انحدر أبو الفضل من أسرة فارسية خراسانية من «مرو الروذ»، و«طيفور» لقب أبيه، قطع بذلك، فلست أميل إلى اشتقاق هذه الكلمة من أصول عربية، وإنما أرى كما رأى فريق من الباحثين أنها مأخوذة من الكلمة الفارسية «تاج بسر» ومعناها ابن التاج، ولعل في ذلك ما يشير إلى أصول ملكية لأسرة أبي الفضل الفارسية هذه، وأكبر الظن أنها كانت تتمتع قبل الإسلام بقسط كبير من الفضل والسيادة. أما بعد الإسلام فقد عُرفت هذه الأسرة بمناصرة البيت العباسي والإخلاص له، حتى لقد عُرف أفرادها باسم «أبناء الدولة»، كما يحدثنا ابن النديم.

وبغداد وُلد أبو الفضل من «أبناء الدولة»، يحمل بين جوانحه عقل العربي وحضارة فارسية عريقة، انحدرت إليه من أسلافه وأجداده — في أكبر الظن — الفضل الأول فيما خلفه من آثار فكرية تمتاز بالعمق والدقة، ناهزت خمسة وأربعين مؤلفاً أضاعها مع الأسف ما أصاب التراث الإسلامي كله من العدوان أو الإهمال ...!

ومن خير ما ترك ابن طيفور كتابه «المنثور والمنظوم» الذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً ... لم يبق منها جميعاً غير الجزأين الحادي عشر والثاني عشر، وهما مخطوطان بالمتحف البريطاني، وقد طبع أولهما بالقاهرة عام ١٣٢٦ هـ بعنوان «بلاغة النساء وطرائف كلامهن».

* * *

ومن أنفع ما خلفه ابن طاهر كتابه عن «بغداد» الذي نحدثك عنه اليوم، وهو أيضاً كسابقه لم يصل إلينا كاملاً، إذ لم يبق منه إلا المجلد السادس فحسب، وهو مخطوط فريد بالمتحف البريطاني، وقد قام العلامة الألماني «هنس كلر Hanas Keller» بطبع أصله العربي مع ترجمة ألمانية، طبعة حجر بمدينة ليبسك عام ١٩٠٨ م.

نرجاء ، ومكتب نشر الثقافة الإسلامية ، لصاحبه العلامة الأستاذ عزت العطار الحسيني ، فأتاح لنا وللباحثين طبع الكتاب بالحروف ؟ يقول الأستاذ العطار :

« أما هذا الكتاب فهو من مؤلفات أبي الفضل أحمد ابن أبي طاهر طيفور الكاتب المروزي ، الذي عُرف في جميع الأوساط العلمية بأنه إمام من أئمة الأدب وعلم من أعلام الكتّاب ، ومن أقدم من عُرف بتدوين التاريخ ، بل هو أول من دوّن تاريخ مدينة السلام ، وقد أخذ عنه ابن جرير الطبري وأبو الفرج الأصبهاني وغيرهما من المؤرخين والكتاب . وقد سارت بحديث ما خلّفه من الآثار العلمية والنفائس الأدبية والتاريخية الركبان ، فاهتم علماء الشرق والغرب بالبحث عنها فلم يعثروا إلا على هذه الضالة الفذة من بين كثير مما عبثت به الأيدي وطوحت به الأيام من مؤلفات هذا الكاتب الملهم . ولهذا رأيت من أوجب الواجبات تزويد الخزانة العربية بنشر هذا الكتاب النفيس ؟ وذلك لقدم تأليفه وكثرة فائدته وعظيم أهميته ... » الخ .

* * *

والحق أن الكتاب أول وأقدم وثيقة لتاريخ مدينة السلام في عصر المأمون ، من عام [illegible] ٨١٩ م إلى عام ٢١٨ هـ — ٨٣٣ م . وحسبك أن الطبري شيخ المؤرخين قد أخذ عنه واعتمد عليه ، كما أخذ عنه أبو الفرج صاحب الأغاني . وأكبر الظن أن ابن طيفور كان معاصراً للبلاذري المتوفى عام ٢٧٩ هـ ولابن واضح اليعقوبي المتوفى بعد عام ٢٩٢ هـ وإن كانت المصادر التي تحت أيدينا لم تحدثنا بشيء عن ذلك .

ولست أشك في أن الخطيب البغدادي ، أبا بكر أحمد ابن علي المتوفى عام ٤٦٣ هـ ، قد انتفع كثيراً بكتاب ابن طيفور هذا حينما وضع لنا موسوعته الكبرى « تاريخ بغداد » فهو يترجم له بقوله :

« وأحمد بن أبي طاهر أبو الفضل الكاتب ، واسم أبي طاهر طيفور ، وهو مروروذي الأصل ، كان أحد البلغاء الشعراء الرواة ، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم ، وله كتاب بغداد المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم » .

ولذلك فنحن نعتب على البغدادي كثيراً إذ لم يترجم لأبي الفضل ترجمة تليق بمكانته كأستاذ له ، وكشخصية أدبية ممتازة لها خطرها .

والجزء الذي بين أيدينا من كتاب ابن طاهر هو من بغداد دون ريب ، أما بقية الكتاب — وهي مفقودة — فقد اشترك معه فيها ابنه عبيد الله ، الذي يحدثنا عنه ابن النديم في الفهرست فيقول :

« وسلك طريقة أبيه في التصنيف والتأليف ، وروايته أقل من رواية أبيه ، فأما الرواية والتأليف فكان أحمد (ابن طيفور) أحذق وأمهر . ولابنه من الكتب ، مازاده على كتاب أبيه في أخبار بغداد ، فإن أباه عمل إلى آخر أيام المهتدي ، وزاد ابنه أخبار المعتمد وأخبار المعتضد وأخبار المكتفي وأخبار المقتدر ولم يتمه » .

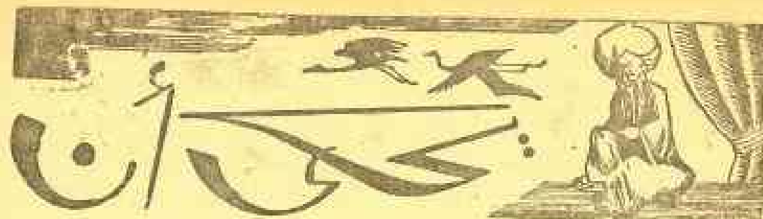
ولابن طاهر في كتابه هذا أسلوب خاص وطريقة في التأريخ طريفة لفتت نظر الباحثين ، حدثنا عنها الأستاذ [illegible] الشيخ الجليل [illegible] أحمد الكوثري الذي أشرف على طبع الكتاب فقال :

« وطريقة [illegible] في تسجيل الأنباء مدعاة للاطمئنان [illegible] مثلاً من كتبوا بتدوين أنباء ذلك [illegible] — إلا اتفقوا على حكاية بأنها — ذكرا جميعاً : كيت وكيت ، وعند انفراد أحدهم يبدأ بقوله : حدثني فلان ، فتكون قيمة هذا النبأ حسب هذا المنفرد ، وهذه طريقة بديعة جداً تسهل مهمة الباحث المستقصي » .

ولا يسعنا في ختام حديثنا إلا أن نرحب كثيراً بكتاب ابن طاهر ، وأن نشكر الشيخ الكوثري والسيد الحسيني على عنايتهما في نشر هذه الوثيقة التاريخية الخطيرة ذات القيمة العلمية الكبيرة لشيخ المؤرخين ابن طيفور ، الذي كان أديباً ممتازاً وشاعراً رقيقاً ؟ وحسبك من شعره قوله :

حسب الفتى أن يكون ذا حسب
من نفسه ليس حسبُه حسَبُهْ
ليس الذي يبتدي به نسبٌ
مثل الذي ينتهي به نسبُهْ

منير محمد حسين



الجواهر المزيفة

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

ترجمة الأديب حسين أحمد أمين

قابلها لأول مرة في منزل رئيسه ، وسرعان ما وقع في حبها .

أما هي فأبوها مفتش ريفي مات منذ بضعة شهور ، فجاءت مع أمها إلى باريس تبحثان عن الزوج اللائق .. وكان مظهرهما ينم عن الفقر والأمانة والبعد عن التكلف والتصنع .

كانت البنت مثال الفتاة الطاهرة العفيفة ، وهي إلى ذلك ذات جمال ملائكي وتواضع جم وابتسامة تكشف عن روح جميلة صافية . فكان كل من يراها يقول : « ما أسعد الرجل الذي يفوز بحبها .. إنها ستكون لخير زوجة » .

لذلك تقدم مسيو لانتان إليها وعرض عليها الزواج قائلاً : إن مرتبه — رغم ضآلته — كفيل بأن يحقق لهما حياة زوجية هنيئة .. فقبلت الفتاة ..

وعاش معها سعيداً للغاية ، وكانت تدير أمور البيت بحذق وتدبير حتى لكأنهما يعيشان عيشة منعمة ، وكانت تسبغ على زوجها الحنان والحب والرعاية حتى صار حبه لها بعد ست سنوات أضعاف حبه في الشهور الأولى للزواج .

ولكنه كان يعتب عليها أمرين : حبها للمسرح ، وشغفها بالجواهر المزيفة ، وكانت صديقاتها — وأغلبهن من زوجات الضباط — يدعونها إلى مشاهدة التمثيليات معهن .. فكان زوجها يصحبها في الغالب إلى المسرح رغم كراهيته الشديدة للتمثيل .

وبعد فترة من الزمن رجاها زوجها أن تعفيه من الذهاب معها لمشاهدة المسرحيات ، وأن تصحب إحدى صديقاتها بدلاً منه .. فكان كدرها عظيماً في أول [illegible] أمام إلحاح زوجها الشديد .

أما عن شغفها بالجواهر الزيفة ، فقد كانت — رغم بساطتها وبعدها عن التكلف — تشترى من حين لآخر أقراطاً وعقوداً وأساور زائفة تتزين بها ! ولكن هذه الجوهرات كانت بخطوطها ودقة صنعها أشبه بالجواهر الحقيقية الثمينة .

وفي إحدى الأمسيات عادت من الأوبرا وهي تشعر بالبرد يسري في جسمها .. وفي اليوم التالي بدأت تسعل ، وبعد ثمانية أيام ماتت بسبب الالتهاب الرئوي ..

وكان حزن مسيو لانتان عليها شديداً للغاية ، فابيض شعره كله ولما يمض شهر على وفاتها .. وكان يبكي باستمرار بينما كان عقله لا يفكر إلا في ابتساماتها وضحكاتها وجمالها ..

ومرت الأيام ، ولكن جرحه لم يلتئم ، وحزنه لم يقل ، وكان في كثير من الأحيان أثناء عمله — بينما يتكلم زملاؤه في السياسة — يغلب عليه الألم فتفيض عيناه

بالدموع ويشتم الوحدة حينة من البكاء .. وقد ظلت صورتها لا تفارقه .. وكان يستحضرها كل يوم ليفكر في كثرة الشائع وبهجته المفقودة .

وسرعان ما اضطربت حياته .. فبينما كان دخله يكفيه هو وزوجته بفضل مهارتها في إدارة المنزل أصبح لا يكفيه هو وحده .. وصار يعجب كيف كانت زوجته تشترى أفخر المشروبات وأجمل الأثاث من هذا الدخل الصغير المحدود .

وبدأ يستدين وإذا بأصبح فقيراً بعد مدة .. فصمم على أن يبيع مجوهرات زوجته الراحلة .. فأخذ عقدها المفضل وقال في نفسه : لا بد أنه يساوى ستة أو سبعة فرنكات .. فهو ولو أنه مزيف إلا أن صنعه دقيق وشكله جميل .

ووضع العقد في جيبه ودخل أول متجر الجواهر [illegible] في طريقه .. وكان خجلاً للغاية .. [illegible] الصورة ليبيع الجوهرات الزائفة .

وقال للتاجر : سيدى .. أود [illegible] هذا العقد ؟ .

فأخذ التاجر العقد وفحصه .. [illegible] يبدي بعض الملاحظات عليه بصوت خافت .. ثم وضعه على المنضدة وجعل يتأمله ليصدر حكمه فيه .

تضايق المسيو لانتان لكل هذا .. وكان على وشك أن يصيح :

حسناً ! إني أعلم جيداً أن هذا العقد لا يساوى شيئاً ..

غير أن التاجر لم يمهله إذ قال :

سيدى .. إن هذا العقد يساوى ما بين اثنى عشر ألفاً وخمسة عشر ألفاً من الفرنكات .. ولكني لا أستطيع أن أشتريه إلا إذا أخبرتني عن مصدره .

ففتح مسيو لانتان عينيه وفغر فاه من فرط الدهشة دون أن يفهم ما يقوله التاجر .. وقال متلعثماً : أحقاً ؟ .. أمتأكد أنت ؟ .

فقال التاجر بالغضب :

لك أن تبحث لترى إن كان هناك من يعرض عليك ثمناً أكبر .. ولكني أرى أن قدره لا يزيد على خمسة عشر ألفاً .. فإذا لم تجد عرضاً أكبر فارجع إليَّ .

فمد مسيو لانتان يده وأخذ العقد .. ثم غادر المتجر وهو في حيرة من أمره والدهشة غالبة عليه .

وفجأة بدأ يضحك وقال في نفسه :

يالغبي .. إن هذا التاجر لا يميز الجواهر الزائفة من الحقيقية .

ودخل متجراً آخر في شارع لاپيه .. وما أن عرضه على التاجر حتى صاح الأخير :

آه .. إني أعرفه جيداً .. لقد بعته أنا بنفسي ..

فقلق مسيو لانتان وقال : كم يساوى ؟.

فقال التاجر :

[illegible] بعشرين ألف فرنك .. وإني على استعداد أن [illegible] ثمانية عشر ألفاً إذا أخبرتني كيف جاء العقد في حوزتك ..

وظل مسيو لانتان صامتاً وقد عقدت الدهشة لسانه [illegible]

ولكن [illegible] جيداً .. لقد ظننته مزيفاً ..

فسأله التاجر : ما اسمك يا سيدى ؟.

فأجاب : لانتان .. موظف في وزارة الداخلية .. ومسكني في شارع دى مارتير رقم ١٦ .

ونظر التاجر في سجلاته ثم قال :

لقد بيع هذا العقد في ٢٠ يوليه سنة ١٨٧٦ للمسيو لانتان .. شارع دى مارتير رقم ١٦ .

وظل كل من الاثنين ينظر إلى الآخر .. مسيو لانتان مشدوهاً لا يستطيع الكلام .. والتاجر يظن أنه لص .. وأخيراً تكلم التاجر :

هل تستطيع أن تترك لي هذا العقد مدة أربع وعشرين ساعة ؟ سأعطيك إيصالاً ..

فأجاب مسيو لانتان بسرعة : طبعاً ..

وأخذ الإيصال وغادر المتجر ..

وظل يهيم في الشوارع دون وجهة وعقله مضطرب .. وحاول أن يفهم فلم يستطع .. إن زوجته لا تستطيع أن تشتري مثل هذه الحلية .. ربما كانت هدية .. هدية .. هدية من ؟ من ؟ ولم أهديت إليها ؟

وفجأة وقف في وسط الشارع .. ودخل الشك الفظيع عقله .. من ؟ إذاً .. فتلك المجوهرات هدايا أيضاً .. وبدأت الأرض تهتز من تحته .. وخيل إليه أن الشجر يتساقط عليه ، فد يده ووقع على الأرض مغشياً عليه .

وأفاق في صيدلية حمله إليها المارون .. ثم نقل إلى منزله واقفل على نفسه الحجرة . وظل يبكي حتى جاء الليل فألقى بنفسه على السرير ، وقد حل به التعب وقضى ليلة مؤلمة ..

ونهض في الصباح فوجد نفسه غير قادر على الذهاب إلى مكتبه بالوزارة ، فأرسل خطاباً إلى رئيسه يعتذر .. وتذكر أن عليه أن يمر بالتاجر ، فلبس ثيابه وخرج ..

ونظر المسيو لانتان إلى الرجال الأغنياء المتسكعين في الشوارع فقال : إن الغنى بلا ريب مسعد .. فالمال يبدد الهموم .. وفي استطاعة الغني أن يذهب حيث شاء .. ويمكنه أن يسافر فيبيع أحزانه .. آه لو كنت غنياً ..

وشعر بالجوع ووضع يده في جيبه فلم يجد شيئاً .. وتذكر العقد .. ثمانية عشر ألفاً .. ثمانية عشر ألفاً .. يا له من مبلغ جسيم .

ووصل شارع لاپيه ، وتردد في الدخول إلى المتجر لما به من خجل .. ولكنه جائع وليس معه نقود .. وإذا به يجري ويعبر الطريق ثم يدخل المتجر ..

وتقدم التاجر وقدم إليه كرسياً بأدب ، ثم قال :

لقد لت بعض التحريات أمس ، وأنا على استعداد أن أشتري منك العقد إن كنت تريد بيعه ..

فقال مسيو لانتان متلعثماً .. بالطبع يا سيدي ..

ففتح التاجر درجاً وأخرج ثمانية عشر ألفاً أعطاها للمسيو لانتان فوقع المسيو لانتان إيصالاً ووضع النقود في جيبه بيد مرتعشة .

واستدار للخروج ، ولكنه عاد يقول وقد أخفض وجهه :

إن عندي .. عندي مجوهرات أخرى من نفس المصدر .. هل تريد أن تشتريها أيضاً ؟

فانحنى التاجر وقال : بالطبع يا سيدي ..

فقال مسيو لانتان : سأحضرها إليك ..

وخرج وعاد بعد ساعة ومعه الجواهر .

واشترى التاجر الأقراط اللؤلؤة بعشرين ألفاً من الفرنكات ، واشترى الأساور بخمسة وثلاثين ألفاً ، واشترى الخواتم بستة عشر ألفاً ، وبعض الأحجار الزمردية بأربعة عشر ألفاً ، وسلسلة ذهبية بأربعين ألفاً . فكان المجموع الكلي مائة وثلاثة وأربعين ألفاً من الفرنكات .

وتغدى المسيو لانتان في نفس اليوم في مطعم فوازان وشرب نبيذاً بعشرين فرنكاً ، ثم استأجر عربة ليتنزه فيها وهو ينظر إلى الناس في احتقار وكبرياء .. وظل يردد :

إني أيضاً غني .. إني أساوي مائتي ألف فرنك ..

وتذكر وظيفته فذهب إلى مكتبه وقال للرئيس بمرح : إني أرفع إليكم استقالتي .. فقد ورثت حالاً ثلاثمائة ألف فرنك ..

وذهب يودع زملاءه الموظفين ، وذكر لهم بعض مشروعاته في المستقبل .. ثم خرج ليتعشى في الكافيه أنجليه .

وجلس أثناء طعامه بين اثنين من الطبقة الأرستقراطية وقال لأحدهما إنه ورث حديثاً أربعمائة ألف فرنك ..

ولأول مرة في حياته لم يسأم من مشاهدة المسرحيات ، فقد قضى ليله بطوله في المسارح ..!

وبعد ستة أشهر تزوج مرة أخرى . وكانت زوجته الجديدة امرأة فاضلة صالحة جداً ذات مزاج حاد ..

وقد جعلت هذه المرأة رجلاً شقياً .

عيسى أحمد أمين



نداء الجسد

قلتُ يوماً لنفسي المحزونة
أنتِ يا نفسُ — دائماً — محزونة
عشتِ للحب طاهراً ونقياً
لم تذوقي طعومه ... وفتونه
فلتجربْ! لقد سئمتُ حياةً
ليس فيها خشونة أو ليونة
ذاتَ جرسٍ موحَّدٍ ورتيبٍ
كيف يا نفسُ لم تملّي رنينه
ولتغامرْ! ففي الحياة متاعٌ
وجمالٌ غير الذي تألفينه
سوف أمضي مع الجموع بوادٍ
لا أبالي سهوله أو حزونه
ثم ألقي بين الندامى بطولي
فعساه يشفي الجراح الدفينة

***

وانطلقنا وبين جنبيَّ نارٌ
تتلظى وفي خطاي رعونة
كأسيرٍ جارت عليه الليالي
وأطالت ظلامه وشجونه
ثم فكوا إساره فتولى
ينشد النور في رحاب المدينة
ها هنا مجمع الصباح سراه
ويلاقي هنا الحزينُ خدينه
ها هنا الدفء والحرارة والـ
نور وحفل الفتون المكنونة
ها هنا الروضةُ التي تحنّ شوقاً
بين أطيافها الخفاف الضنينة
يا وقاري كذلك حطمتَ عودي
في ربيعي وخنقِ الرعونة
يا وقاري لقد هصرتَ شبابي
في عنادٍ وقسوةٍ وخشونة

هو عمر الحياة إن ضاع مني
ضاع عمري، وما قضيتُ ديونه
ما جوابي غداً إذا سألتني
عن شبابي — شيخوختي المسكينة؟

***

ومضينا ... وفي يديَّ جمالٌ
وشبابٌ، وذكرياتٌ كمينة
والظلالُ الخضراء تشعل ناراً
في كيانٍ ورغبةٍ مجنونة
والشذاء التي تلاشتْ، أزاحتْ
عن خيالي قيوده وظنونه
والرضابُ الذي يَعِلّ فيروي
أنا وجدي الذي كشفتُ معينه
والبريقُ الذي يشعّ سهاماً
ما سنانٍ كأنها مسنونة
من عيونٍ زرقاء تسكبُ نوراً
ورجاءً في كل نفسٍ حزينة
[illegible] فلم أدرِ ماذا
أتُرى خمره أم جنونه؟
[illegible] الليالي حين التشفي
في دلالٍ وخفةٍ ومرونة
أسبلَ الحلوُ جفنه فدعوني
آن أن يطفئ الفؤادُ حنينه

***

وانتهينا معاً ... ولكنّ نفسي
أيقظتني في رقةٍ وسكينة
قالت: ارجع. فقلتُ: كيف؟ فقالت:
«أنت نبعٌ» من المعاني الثمينة
أنت يا عاشق الجمال حريٌّ
أن تصونَ الجمالَ لا أن تهينه
أنت روحٌ، فقلتُ: حقاً
وهذا هو عهدي وأنّى أن أخونه

علي بدر

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر